وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي بالأغواط
كلية الأدب واللغات
قسم :الأدب العربي

مذكرة ماستر

تقديم الطالبة : نور الهدى فروج
ميدان : اللغة و الأدب العربي
شعبة : الدراسات اللغوية
تخصص: اللسانيات العربية

الموضوع :

الأستاذ إبراهيم السامرائي وآراؤه في أصول النحو من خلال كتابه "المدارس النحوية أسطورة وواقع"

من إعداد الطلبة :
نور الهدى فروج

تحت إشراف الأستاذ:
توفيق جعمات

لجنة المناقشة :

الإسم واللقب	الدرجة العلمية	الصفة
بن التواتي عبد القادر	أستاذ محاضرا – أ	رئيسا
جعمات توفيق	أستاذ محاضرا –أ	مشرفا ومقررا
بن علي سليمان	أستاذ تعليم عال	مناقشا

السنة الجامعية2019/2018

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكـــــــر وعـــــرفان

بعد شكر المولى على إتمام هذا العمل أتقدم بشكر خاص إلى الأستاذ المشرف: **توفيق جعمات** و إلى لجنة المناقشة

و جميع الأساتذة الذين رافقونا طوال المشوار الدراسي كما أتقدم بالشكر إلى موظفي كلية اللغة والأدب العربي والى جميع كل من ساعدنا بالقليل والكثير في إنجاز هذا العمل.

نور الهدى

إهـــداء:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مبدع الكون جل جلاله وعز سلطانه الذي أنعم علينا بالعلم والقوة الصبر لإنجاح هذا "البحث"

إلى كل من قال فيهما المولى عز وجل "...ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا"

أهدي ثمرة جهدي ومن أعماق قلبي إلى كل من منحتني الرعاية، إلى من حملتني وهنا على وهن، إلى القلب الكبير والصدر الرحب "أمي" الحبيبة منبع الحنان والرقة.

إلى روح الغالي من كان سبب وجودي فأحسن تربيتي وتعمدني بالنصح والتوجيه والعزم دون استسلام والدي الكريم رحمه الله

إلى إخوتي إلى جميع الأهل والأقارب من دون استثناء.

إلى كل أساتذتي الكرام وخاصة الأستاذ المشرف–توفيق جعمات– على النصائح والإرشادات القيمة

إلى كل من يعرفني من قريب أو من بعيد وإلى كل الأصدقاء

وإلى كل الذين أحبهم قلبي ونسيهم قلمي

نور الهدى فروج

© Ladie Lynn
http://ladielynn.com

مقدمة

مقدمة:

لطالما لفتت انتباهي الدارسات والبحوث التي تناولت الثقافة العربية في قرون الإبداع الأولى سواء منها شقها الإسلامي والأدبي لارتباطها بنزول القرآن الذي نزل على أمة ما كانت تعلم كتابا أو تخطّه بيمينها ، فكان القرآن الكريم هو محفز الإبداع والموجه لهذه الثقافة العربية ، ولقد وفرت لنا مادة "أصول النحو " زادا شهيا من المعرفة حول نشأة النحو العربي وحول المدارس النحوية المختلفة التي ظهرت في حواضر العالم الإسلامي، فازددت انشدادًا إلى تلك البحوث والدراسات ، فلما اقترح عليَّ أستاذي المشرف كتاب " المدارس النحوية أسطورة واوقع " أساسا لبحثي ترك ذلك أثرا طيبا في نفسي لأنه غذّى فيّ حاجة معرفية أسعى إلى تنميتها ولكن عنوانه الغريب كان حافزا قويا لأقبل هذا الموضوع حتى أتعرف وجهة نظر الأستاذ إبراهيم السامرائي في موضوع المدارس النحوية وبعد الاطلاع على الكتاب والتشاور مع الأستاذ المشرف استقر الرأي أن يكون عنوان البحث " الأستاذ إبراهيم السامرائي وآراؤه في أصول النحو من خلال كتابه المدارس النحوية أسطورة وواقع"

ولم أجد دراسات وبحوث تخصصت في الكتاب وإن وجدت دراسات تعرضت لأعمال الدكتور السامرائي بشكل عام مثل "الدرس اللغوي عند إبراهيم السامرائي نماذج مختارة " تقدمت بها الباحثة سارة إبراهيمي إلى جامعة العربي بن مهيدي في أم البواقي لنيل شهادة الماستر ، أو بحث " الجهود المعجمية للدكتور إبراهيم السامرائي " تقدم به الباحث علي خلف الحسين العبيدي إلى كلية التربية قسم اللغة العربية بجامعة ديالي بالعراق لنيل شهادة الماجستير . وكما يظهر من العنوانين فالباحثان لا يتقاطعان مع بحثي إلا في اسم الباحث الدكتور إبراهيم السامرائي لذا قررت الاعتماد على نفسي في تعرف آراء الكاتب ودارستها.

ولما كان عنوان الكتاب عن ا لمدارس النحوية كان جل اعتمادي على كتب المدارس النحوية ، لشوقي ضيف وخديجة الحديثي وغيرهما .

وقد اعتمدت المنهج الوصفي في تعرف آراء الأستاذ السامرائي والمنهج المقارن في دراستها في ضوء آراء لغويين معاصرين للأستاذ ، وهذان المنهجان هما الأنسب للدارسة في نظري مع اعتماد التحليل آلية إجرائية مساعدة وقد قسمت البحث إلى الخطة التالية:

المدخل : نبذة عن الكاتب والكتاب

الفصل الأول : عرض ملخص لأفكار الكاتب

الفصل الثاني : دراسة لأهم آراء إبراهيم السامرائي في كتابه ومقارنتها بآراء بعض اللغويين المعاصرين .

الخاتمة : لخصت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها .

وأختم بوافر الثناء على أستاذي الفاضل توفيق جعمات الذي تابع هذا البحث ، ولم يبخل عليّ أبدا بالمعلومات القيّمة و النصيحة ، فكان بمثابة الأب والأستاذ ، وكان نعم المعين ، والموجه فله مني وافر الشكر، ولا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بالشكر لأستاذيَ الفاضلين سليمان بن علي و عبد القادر بن التوّاتي اللذين تعلمت منهما قيم العلم و الأخلاق ، ولكل أساتذة قسم اللّغة والأدب العربي لما لهم من فضل تكويننا، جزاهم الله جميعا عظيم الجزاء في الدنيا والآخرة .

وأسأل الله أن ينتفع بهذا البحث طلاب العربية وأن يتناولوه بالنقد والتحليل ليستفيدوا من أفكاره ويتداركوا أخطاءه والله الموفق للصواب.

المدخل

- نبذة تعريفية عن الكاتب والكتاب
- مصطلحات ومفاهيم

أولا: نبذة تعريفية عن الأستاذ إبراهيم السامرائي:

مولده و نشأته و تعلمه:

إبراهيم بن أحمد الراشد السامرائي ولد في مدينة العمارة سنة 1916م و هي حاضرة من حواضر جنوب العراق بين بغداد و البصرة، و كان أهله قد نزحوا من سامراء التي ينسب إليها، تعلم في العمارة، و درس في دار المعلمين الابتدائية في بغداد، و تخرج فيها و حصل على شهادته عام 1946م، ثم فاز ببعثة علمية إلى جامعة السوربون بباريس سنة 1948م[1].

الدراسة في السوربون:

انتسب السامرائي في السنة الأولى إلى معهد لتعليم اللغة الفرنسية "الأليانس الفرنسية" حيث اختار لجده و اجتهاده اختصاصا نادرا في اللّغات السامية و تحتم عليه أن ينتسب إلى المعهد الكاثوليكي في باريس و إلى معهد متحف "اللوفر" لدراسة اللّغات العبرانية و الآرامية و الحبشية و البابلية و الآشورية و السبئية مع متابعة المحاضرات المتعلقة باللّغات السامية في المدرسة العليا للدراسات في مبنى السوربون كما أفاد من الألواح و النقوش الأثرية للغات القديمة كالبابلية و الآشورية و السبئية في معهد "اللوفر" بباريس و أفاد أيضا من الدراسات المتوافرة بمكتبة المعهد التي أنجزت عن هذه اللغات لفهم أبجديتها، و نحوها و صرفها، و اقتضى الأمر منه الإلمام بشيء من اللغة الألمانية ليستعين بها للوصول إلى الكلمات البابلية القديمة.

و قد ختم دراسته في فرنسا برسالتين علميتين الرسالة الرئيسية كانت بعنوان: " الجموع في القرآن مقارنة بصيغ الجموع في اللغات السامية" و هذه رسالة الدكتوراه. و الرسالة الثانية أو التكميلية فهي تحقيق كتاب: المثل السائر لضياء الدين بن الأثير[2].

[1] W WW. Alukah . net .22 :00 .2019-05-02

[2] إبراهيم السامرائي من دجلة إلى السين، عبد المجيد عبد الحميد. www.alittihad .ae /article 40114/2011يوم : 05/29/ 00:33سا

أعماله:

اشتغل السامرائي بعد إنهاء دراسته في دار المعلمين العالية بالتدريس و قد اختير للتدريس في مدرسة نموذجية يطلق عليها "كلية الملك فيصل" و هي مدرسة ثانوية ببغداد مكث بها سنين تم نقله إلى دار المعلمين الريفية و التي لم يمكث فيها طويلا[1] .

ثم أنتدب للتدريس في كلية الآداب بتونس، عاد بعدها إلى بغداد، ثم انتقل بين بيروت و عمان

وبنغازي و الجزائر و الرباط و الكويت و السودان، مدرسا في جامعاتها، بين سنوات 1965م-1975م آب بعدها إلى كلية آداب جامعة بغداد حتى أحيل إلى التقاعد سنة 1980م، و بعدها عمل مدرسا في الجامعة الأردنية 1982-1987م، فجامعة صنعاء حتى عام 1996م، و ألقى عصا الترحال في عمان.[2]

أساتذته:

تتلمذ صاحب الترجمة لشيوخ اللغة في بلده الأم، العراق، و هم :

- **طه الراوي**: و هو أكبر مشايخ الأدب و اللغة و النحو في العراق،و تعد مكتبته الخاصة من خزائن الكتب الكبيرة المعدودة في بغداد، و له مؤلفات مطبوعة.

- **مصطفى جواد**: عالم كبير في اللغة، واسع المعرفة بتاريخ الدولة العباسية و ما بعدها، شاعر و عضو في المجامع اللغوية العلمية ببغداد و دمشق و القاهرة، عرف عنه الدور الكبير في التصويب اللغوي وله جهود مشهودة في التحقيق و التأليف.

[1] إبراهيم السامرائي، حديث السنين سيرة ذاتية، دار البيارق-لبنان بيروت، دار عمار الأردن عمان،ط1-1998/1418م، ص122 ومابعدها.

[2] الموقع السابق 00:33 سا -05/04/ 2019.

- **عبد العزيز الدوري:** مؤرخ عراقي، حاز على الدكتوراه من جامعة لندن، عمل رئيسا لجامعة بغداد، و انتخب عضوا بمجامع اللغة العربية بدمشق و القاهرة و عمان، و المجمع العلمي العراقي و المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بعمان، و له مؤلفات مطبوعة.

و في فرنسا تتلمذ السامرائي لاثنين من المستشرقين، أشرفا على رسائله في السوربون هما:

- **جان كانتينو:** مستشرق فرنسي، عني باللهجات العربية، و لاسيما لهجات بادية الشام، عين أستاذا لفقه اللغات السامية في كلية الآداب في الجزائر،ثم مدرسا في مدرسة اللغات الشرقية بباريس، و له عدة مؤلفات بالعربية.

- **ريجيس بلاشير:** مستشرق فرنسي، ضليع بالعربية، من أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق، تخرج في كلية الآداب بالجزائر، و عين أستاذا في معهد الدراسات المغربية العليا في الرباط، و انتقل إلى باريس محاضرا في السوربون، فمديرا لمدرسة اللغات العليا العلمية، وأشرف على مجلة "المعرفة الفرنسية"، و ألف بالفرنسية كتبا كثيرة ترجم بعضها إلى العربية.[1]

تلامذته:

- **وليد خالص:** أديب و باحث عراقي، تخرج من كلية الآداب بجامعة بغداد، و منها نال شهادة الدكتوراه، عمل مدرسا في عدد من الجامعات العربية، له عدة مؤلفات وتحقيقات.

- **هاشم الطعان:** لغوي أديب وشاعر موصلي المولد، درس في بغداد، و نال الدكتوراه في اللغة من جامعتها، اشتغل بالتدريس، وكان له عناية باللغة و تمكن من العربية له مؤلفات في اللغة و ديوان شعر، كما حقق عددا من الدواوين.

[1] الموقع السابق، www.alukah.net20:00,28/05/2019

- **محمد ضاري الحمادي**: لغوي وباحث، ولد في بغداد و تعلم فيها، و تخرج في قسم اللغة العربية بكلية الآداب في جامعة المستنصرية، و حصل على الدكتوراه من جامعة بغداد، و عمل فيها مدرسا واختير عضوا في مجمع اللغة العربية العراقي، و له مؤلفات عدة.

- **حاتم الضامن**: محقق غزير التحقيق، ولد في بغداد و تعلم فيها، و تخرج في كلية آداب جامعتها و اشتغل بالتدريس، نال الدكتوراه، و عين مدرسا في جامعة بغداد، ثم رئيسا لقسم اللغة العربية فيها ألف في اللغة، و حقق عددا من الكتب.

- **طالب التكريتي**: ولد في بغداد، و بها نشأ و تعلم، تخرج في قسم اللغة العربية بكلية الآداب في جامعة بغداد، و تحصل على الدكتوراه من جامعة سانت أندروز باسكتلندا، و عمل بالتدريس في جامعتي الموصل و صنعاء، له مؤلفات عدة.[1]

و له تلاميذ غير هؤلاء في العراق و الأردن و الجامعات التي اشتغل فيها.

حبه للعلم:

قضى السامرائي أيامه بين الكتب قارئا ومؤلفا ومحققا ومدرسا ومترجما، استغرقه هوى الكتب فانصرف إليه بكل همه، و اكتفى به عن كل ما يشغل الناس من فضول العيش، و جواذب النفس، فكان الكتاب هواه الأول و الأخير، و استمر برغم بلوغه الثمانين من العمر يتردد على خزانة كتب مجمع اللغة العربية الأردني، يقرأ و يكتب.

مشاركاته في المجامع اللغوية:

سعت المجامع اللغوية من أجل ضم إبراهيم السامرائي بعد ذيوع صيته بفضل أبحاثه و مصنفاته وتخصصه في اللغات السامية فانتخب عام 1980 عضوا مراسلا بمجمع اللغة العربية القاهري ثم

[1] ينظر الموقع السابق ، www.alukah.net

عضوا عاملا منذ عام 1990، كما نال عضوية المجمع اللغوي بدمشق و المجمع الأردني و المجمع التونسي و المجمع الهندي، و الجمعية اللغوية الفرنسية[1]

صفاته و أخلاقه:

السامرائي متوسط الطول، مائل إلى النحافة، و هو رجل دمث الأخلاق، كريم مضياف، بر بإخوانه و أصدقائه، و هو كاظم الغيظ و رحيب الصدر لطيف شفاف إلا إذا مست كرامته.

لقد عاش السامرائي حياته غير متحيز إلى فئة أو منتصر بجماعة، صلبا عنيدا، شديد الإحساس بكرامة العالم، زاهدا في الدنيا، و زاهدا في الألقاب و المناصب، صريحا، و لم يحتمل الناس صراحته، و كان ما كان من إقصائه عن محافل الأدب و بريق الجوائز.

و قد رحل عن هذه الدنيا صباح يوم الأربعاء، الخامس والعشرين من الشهر الرابع لعام ألفين وواحد.

تغمده الله تعالى بواسع رحمته و أسكنه فسيح جناته.[2]

التعريف بمؤلفاته:

و للمترجم من المؤلفات نحو خمسين كتابا، و من التحقيقات ما يربو على العشرين، أهمها:

المؤلفات:

1- الأب أستانس ماري الكرملي و آراؤه اللغوية
2- الأعلام العربية
3- إعلام الورى فيما نسب إلى سامرَّا
4- بناء "المقالة" لابن طاووس
5- التطور اللغوي التاريخي

[1] ينظر، إبراهيم السامرائي، مقال من دجلة إلى السين.

2 الموقع نفسه، الساعة : 22:00: /05/28/ 2019

6-التكملة للمعاجم العربية من الألفاظ العباسية

7-التوزيع اللغوي الجغرافي في العراق

8- حديث السنين (سيرة ذاتية)

9-حنين إلى الكلم الضائع (ديوان شعر)

10- الدخيل في العربية و الفارسية و التركية

11- دراسات تراث أبي العلاء المعري

12- دراسات في اللغتين السريانية و العربية

13- رحلة في المعجم التاريخي

14- رسائل و نصوص في اللغة و الأدب التاريخي

15- السيد محمود شكري الألوسي و بلوغ الأرب.

16- العربية تاريخ و تطور

17- الفعل...زمانه و أبنيته.

18- فقه اللغة المقارن

19- في الصناعة المعجمية

20- في اللهجات العربية القديمة

21- في مجلس أبي الطيب المتنبي

22- في المصطلح الإسلامي

23- لغة الشعر بين جيلين

24- لفيف و أشتات

25- المجموع اللفيف

26- المدارس النحوية أسطورة وواقع

27- مع المصادر في اللغة و الأدب

28- مع المعري اللغوي

29- مع نهج البلاغة

30- معجم الفرائد

31- المعجم الوجيز في مصطلحات الإعلام

32- معجم و دراسة في العربية المعاصرة

33- المقترح في المصطلح

34- من أساليب القرآن

35- من بديع لغة التنزيل

36- من سعة العربية

37- من الضائع من معجم الشعراء

38- من معجم الجاحظ

39- من معجم عبد الله بن المقفع

40- من معجم المتنبي

41- النحو العربي نقد و بناء[1]

[1] الموقع السابق : الساعة : 16:20،.2019/05/25.

التحقيقات:

1- "الأمكنة و المياه و الجبال"، للزمخشري

2- ديوان الجواهري.

3- ديوان القطامي

4- رحلة ابن عابد الفاسي

5- "الزهرة"، لمحمد بن داود الأصبهاني، بالاشتراك مع الدكتور نوري القيسي.

6- "فلك القاموس" للكوكباني.

7- في التعريب و المعرب (حاشية ابن بري على كتاب "المعرب" لابن الجواليقي)

8- "كتاب العين"، المنسوب للخليل بن أحمد الفراهيدي، بالاشتراك مع الدكتور مهدي المخزومي.

9- "كتاب الكتاب"، لابن ذرستويه، بالاشتراك مع الدكتور عبد الحسن الفتلي

10- "كتاب النخل" لأبي حاتم السجستاني

11- "كشف النقاب عن الأسماء و الألقاب"، لابن الجوزي

12- "المرجع في الآباء و الأمهات و البنين و البنات"، لابن الأثير

13- "نزهة الألباء في طبقات الأدباء"، لأبي بركات الأنبا ري

14- "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز"، للفخر الرازي، بالاشتراك مع الدكتور محمد بركات أبو علي[1]

من خلال استعراض عناوين هذه الكتب المصنفة والتحقيقات نلاحظ مدى الاستبحار الثقافي والتوسع المعرفي للأستاذ إبراهيم السامرائي فكأنما أحاط باللغة العربية أدبا و شعرا و معجما و نحوا

[1] الموقع السابق، 2019/05/27-22:00 .

وصرفا، إضافة إلى دراساته اللغوية المقارنة مما يجعله بحق من أكبر رهبان الثقافة العربية في القرن الماضي.

ثانيا :وصف الكتاب:

كتاب: المدارس النحوية أسطورة وواقع.

تأليف: ابراهيم السامرائي.

الناشر: دار الفكر للنشر والتوزيع.

الطبعة الأولى: 1987م.

عدد الصفحات:192.

في مقدمة الكتاب يذكر السّامرائي أن القدماء لم يطلقوا على مسائل الخلاف في النحو كلمة " مدرسة" فهذه الكلمة لم تؤثر عنهم وإنما أثر عنهم إطلاق كلمة "مذهب".

بعد أربع صفحات من هذا الكلام وفي الصفحة السابعة عشر جاء العنوان الأول في القصل الأول وهو: "المدرسة البصرية وأصولها لدى الأوائل".

وفي الصفحة الحادية والثلاثين جاء العنوان في الفصل الثاني: "المدرسة الكوفية أصولها وبدايتها وأصحابها"

الفصل الثالث:" استقراء مسائل الخلاف" واستغرق ثلاثا وثلاثين صفحة.

الفصل الرابع: "المصطلح النحوي" ليقرر ثبات المصطلح النحوي البصري.

الفصل الخامس: " المصطلح النحوي عند الكوفيين"

ثالثا : مصطلحات ومفاهيم :

مفهوم المدراسة:

وردت تعاريف عديدة للمدرسة في المعاجم المعاصرة وفي الكتب والبحوث العلمية و من هذه التعاريف:

تعريف المعجم الوسيط: «المدرسة جماعة من الفلاسفة و المفكرين أو الباحثين تعتنق مذهبا معينا أو تقول برأي مشترك و يقال هو من مدرسة فلان على رأيه و مذهبه»[1]

تعريف أحمد مختار عمر: «المدرسة مذهب و اتجاه جماعة من المفكرين أو العلماء و غيرهم ذات اتجاه واحد و تقول برأي مشترك، مدرسة البصرة ،مدرسة الكوفة ، مدرسة الديوان أو هو من، مدرسة فلان و من تلاميذه و أتباعه»[2]

تعريف الأستاذ علي النجدي: «المدرسة طائفة من أولي العلم الواحد أو الفن الواحد تجمعهم أصوله و مناهج البحث فيه و إن تعددت أوطانهم و اختلفت أجناسهم و مهما تنوعت شخصياتهم العلمية و تباعدت آراؤهم في الفروع و التفاصيل»[3]

تعريف الأستاذ مهدي المخزومي: «ورد تعريف مختصر للمدرسة في كتاب الأستاذ المخزومي قال فيه "فليست المدرسة إلا أستاذا مؤثرا و تلاميذ متأثرين و قد اجتمعوا على تحقيق غرض موحد للوصول إليه منهاجا»[4]

---

[1] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ،مكتبة الشروق الدولية ، ط4 ، 1425هـ ،2004م، ص280.

[2] أحمد مختار عمر و آخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، ، ط1، عالم الكتب، 1429هـ/2008 ج1، ص738.

[3] أحمد مجرشي،المدارس النحوية النشأة و الخلاف في المفهوم و الوجود،
www.forsanhaq.com/showthread.php?.t:225564

[4] مهدي المخزومي ،مدرسة الكوفة و منهجها في دراسة اللغة و النحو، ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده ، مصر، ط2، ص.106 [4]

تعريف الأستاذ صالح بلعيد: «المدرسة كلمة معاصرة تعني الجماعة الذين يشكلون درسا واحد في بيئة معينة أو بيئات متعددة و يجمعهم منهج واحد أو اشتراك في وجهة النظر التي تؤلف جبهة عملية واحدة، و وجود الجماعة اللذين يصل بينهم رباط من وحدة الفكر و المنهج و يكون اتفاقهم على الأصول لا على الفروع، و على رأس المدرسة من يرسم الخطة و يحدد المنهج و هو الشيخ أو الرئيس، و المريدون الدين يعتنقون خطاه، و يعملون على تطويرها و الدفاع عنها»[1]

أما التركيب الوصفي "المدرسة النحوية" أو المدارس النحوية فقد حظي أيضا بتعاريف منها:

المدارس النحوية: مصطلح يشير إلى اتجاهات في دراسة النحو العربي، اختلفت في منهاجها في بعض المسائل النحوية الفرعية، و ارتبط كل اتجاه منها بإقليم عربي معين فكانت هناك مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة، ومدرسة بغداد و هكذا.

ولكن بعض العلماء فضلوا استخدام "مذهب نحوي" مكان "مدرسة" و استندوا في ذلك على أن كل تلك المدارس تسير نحو هدف واحد و رؤية واحدة و هي النحو العربي بثوابت كثيرة مشتركة فيما بينها في حين أن الاختلاف بينها لم يكن إلا قليلا و في الفروع الصغيرة.

بخلاف أن المدارس اللغوية و اللسانية الحديثة يصح تسميتها مدارس للاختلافات الكثيرة فيما بينها سواء في أسباب نشأتها و في أهدافها[2]

مفهوم أصول النحو:

علم أصول النحو: يحسن منهجيا قبل تعريف "أصول النحو" أن نعرف النحو لكونه الأهم في هذا التركيب الإضافي (أصول النحو) .

و قد وردت عدة تعاريف لتعريف النحو تتباين شكلا و مضمونا و من أهم التعاريف :

[1] صالح بلعيد، في أصول النحو، ، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2005-ص145.

[2] فوزي فهيم حسن، ينظر المدرسة النحوية العربية القديمة مقال، www.diwanalarab.com/spip Article ?.
. 26054يوم 2013/05/07 على الساعة 6سا و50د

تعريف ابن السراج: « ... و هو علم استخرجه المتقدمون من استقراء كلام العرب حتى وقفوا منه على الغرض الذي قصده المبتدئون بهذه اللّغة»[1]

تعريف أبي علي الفارسي: كرر أبو علي الفارسي تعريف ابن السراج السابق و أضاف إليه بعض الشرح فقال: «النحو علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب، و هو ينقسم إلى قسمين أحدهما تغيير يلحق أواخر الكلم و الآخر تغيير يلحق ذوات الكلم و أنفسها »[2]

تعريف أحمد الهاشمي: «النحو في اصطلاح العلماء هو قواعد يعرف بها أواخر الكلمات العربية التي حصلت بتركيب بعضها مع بعض من إعراب و بناء و ما يتبعها»[3] و لا نود الإطالة في هذه التعاريف لأنه هذا ليس في جوهر البحث.

تعريف "أصول النحو" عرفه **السيوطي** بقوله:

"علم يبحث فيه عن أدلة النحو الإجمالية من حيث هي أدلته، و كيفية الاستدلال بها و حال المستدل"

ثم بدأ يشرح بعض مفردات هذا التعريف بقوله:

فقولي: (علم) أي صناعة

و قولي(عن أدلة النحو) يخرج كل صناعة سواه و سوى النحو و أدلة النحو الغالبة أربعة: قال ابن جني أدلة النحو ثلاثة السماع و الإجماع و القياس و قال ابن الأنباري في أصوله: أدلة النحو ثلاثة: نقل و قياس و استصحاب حال.

وقولي(الإجمالية): احتراز من البحث عن التفصيلية كالبحث عن دليل خاص بجواز العطف على ضمير المجرور من غير إعادة الجار

[1] ابن السراج ،تح: عبد الحسين الفتلي، الأصول في النحو، ،. مؤسسة الرسالة بيروت، ط3، 1417هـ/ 1996م، ج1:ص35.

[2] أبو علي الفارسي، تحقق حسن شاذلي فرهود، التكملة في شرح الإيضاح ،جامعة الرياض ، ط1، 1401هـ/1990م ص4-3

[3] احمد الهاشمي ،القواعد الأساسية للغة العربية ، ، بيروت، لبنان ،دار الكتب العلمية ،د ت ،ص06-07.

وقولي (من حيث هي أدلته): أي بيان لجهة البحث عنها أي البحث عن القرآن بأنه حجة في النحو لأنه أفصح الكلام سواء كان متواترا أم آحادا، و عن السنة كذلك بشرطها الآتي و عن كلام من يوثق بعربيته كذلك وعن إجماع أهل البلدين كذلك ... و عن القياس و ما يجوز من العلل فيه و ما لا يجوز .

و قولي(كيفية الاستدلال): أي عند تعارضها و نحوه كتقديم السماع على القياس و اللغة الحجازية على التميمية إلا لمانع...

وقولي(و حال المستدل): أي المستنبط للمسائل من الأدلة المذكورة أي: صفاته و شروطه ...

و فائدته: التعويل في إثبات الحكم على الحجة و التعليل و الارتفاع عن حضيض التقليد إلى الاطلاع على الدليل[1] .

[1]- جلال الدين السيوطي ،ينظر ،الاقتراح في أصول النحو، ، تح: عبد الحكيم عطية، دار البيروتي:ط2، 1427هـ/2006، ص21ومابعدها.

الفصل الأول

تلخيص أفكار الكتاب

تلخيص أفكار الأستاذ ابراهيم السّامرائي الواردة في كتاب " المدارس النحوية أسطورة وواقع":

بين يدي الكتاب: بين الأستاذ غايته من تأليف الكتاب وهو ما لاحظه من غلو المعاصرين في إطلاق "مدرسة" في الكلام على الاختلاف بين البصريين والكوفيين حيث لاحظ أن الاختلاف بين البصريين والكوفيين كالاختلاف بين بصري وبصري وبين كوفي وكوفي في بعض الأحيان ، ثم إن مواد الاختلاف تتصل بالفروع من الدرس النحوي وكثيرا مما اختلفوا فيه لا يتصل بالنحو بل هي فوائد لغوية تتصل بأصول اللغة وبالاشتقاق وباستعمال الكلمة في أسلوب ما.

ولكن الذي حفز الأستاذ على نشر هذا الكتاب هو هجوم من أحد اللغويين المعروفين على الأستاذ لمقال نشره في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ذكر فيه الفكرة الجوهرية لموضوع الكتاب فتجاوز الناقد حدود الرد ورأى الأستاذ أن الرد خرج عن أدب العلم لما فيها من التعريض الذي يقرب من السباب، فكان هذا دافعا لكي يعود الأستاذ إلى مسألة الخلاف النحوي القديم بين البصريين والنحويين ويقف عليه هذا الكتاب الذي يصفه بالموجز[1]

المقدمة: كلمة في تاريخ النحو، ذكر الأستاذ السامرائي أن ظهور النحو كان بسبب شيوع اللحن في العربية حين اتسعت دائرة المجتمعات العربية القديمة لما كان من الفتوح الاسلامية التي نشرت هذه اللغة في المجتمعات الاسلامية فأقبلت على العربية تتعلمها.

واللحن لم يكن مقصورا على غير العرب بل تجاوز ذلك إلى العرب أنفسهم بل وممن يشتهر بالفصاحة كالحجاج مثلا، وطائفة من أهل العلم ممن يرجعون إلى أصول غير عربية من أجل ذلك فكر أهل العلم في وضع ضوابط ومقاييس تمنع هذا اللحن خاصة أن العربية اكتسبت شرفا لكونها لغة التنزيل العزيز ولغة السنة النبوية الشريفة فليس مقبولا أن يعرض لهذه اللغة شيء يقدح فيها من اللحن الذي بدأ يشيع.

ولقد ذهب أهل العلم من أهل العربية فقالوا إن أبا الأسود الدؤلي هو الواضع وقد سيقت أخبار كثيرة في هذا المعنى تتفق في فحواها وتختلف في أجزائها وتعقد هذه الأخبار الصلة بين أبي الأسود الدؤلي وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وقد عزف الأستاذ عن كثير من الروايات التي تفصل

[1] ينظر،إبراهيم السامرائي، المدارس النحوية أسطورة و واقع، دار الفكر للنشر والتوزيع الأردن ،عمان ،الأردن ،ط1، 1987م ص 8.

في ذكر تلاميذ أبي الأسود ومن سبق في الأخذ عنه، وكما أعرض صفحا عن سير النحاة الأوائل كعيسى بن عمر وعبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي ويونس بن حبيب والخليل بن أحمد وسيبويه ممن تلا أولئك التلاميذ الأوائل.

ويرى الأستاذ أن خوف اللحن لم يكن الدافع الوحيد لوضع النحو بل هناك سبب آخر يتعلق بتأريخ العلوم العربية عموما التي يعتبر النحو جزءا منها فيقول: " إن من الظلم أن يقصر وضع النحو على شيوع اللحن وذلك لأن شيوع اللحن آفة بل نقص سرى إلى العربية ولو كان هذا سببا لوضع هذا العلم الذي سمي "النحو" لما كان لنا هذا البناء الشامخ ،ولكان لنا منه ضوابط يسيرة تعين على إزالة العيب وسد الخلل، ولو اقتصر الأمر على هذا لكان لنا نحو يسير يلتزم به المعربون كما يأخذون بسائر ما ينبغي أن يحتفظوا به مما يقال ومما لا يقال... لو كان شيء من هذا لوجدنا بين أيدينا أشياء قليلة مما يمكن أن تحمل على أنها ضوابط تفي بالغرض التعليمي الذي أشرنا إليه.

والذي وصل إلينا شيء آخر وهو ما كان من البناء الشامخ الذي نوهنا به، ويصل الأستاذ إلى الخلاصة المثيرة: " إن النحو الذي قصد أن يكون ضوابط تقوم به الألسنة قد نسي فلم يصل إلينا منه شيء؟ إذا كان هذا فكيف تحول إلى علم واسع له أصوله وفروعه ومنهجه؟

ويقول: إني لأميل إلى أن " النحو" كان ينبغي أن يكون على النحو الواسع الذي نعرفه ولو لم يكن قد ظهر اللحن وشاع، إنه العلم الذي بدأت أصوله في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة وهي الحقبة التي بدأت فيها المعارف العربية الإسلامية تنشأ وتزدهر حتى إذا كان القرن الثالث والقرن الرابع كان لنا علم لغوي واسع ينقسم أقساما عدة، شأنه شأن سائر المعارف الأخرى ،وإنه لعسير علينا أن نجد في الموروث النحوي ما يشير إلى أنه نحو تعليمي تربوي يرى منه أصحابه تقويم اللسان والقلم.

ويورد الأستاذ دليلا على فكرته هذه بأن الأمم الأخرى غير العرب كان لها نحو نظير ما كان للعرب، وهو عندهم كسائر العلوم تجدُّ في عصور التطلع إلى المعرفة وليس ضرورة أن يكون مرتبطا باللحن أو ما يشبه ذلك.

يصل الأستاذ إلى الفكرية الجوهرية فيقول: " لم يطلق القدماء على سائر الخلاف في النحو القديم "مدرسة" فلم يؤثر عنهم مصطلح " المدرسة البصرية" ولا مصطلح " المدرسة الكوفية"، ولا " مدرسة

بغداد" ولكننا نقرأ قولهم: مذهب البصريين ومذهب الكوفيين ومذهب البغداديين، وربما ورد في قولهم مذهب الأخفش ومذهب الفرّاء ، ومذهب سيبويه وغير ذلك.

غير أن المعاصرين استحسنوا لفظ " مدرسة" في مادة الخلاف النحوي كما استعاروها في مسائل أدبية أخرى وكأنهم استعاروها من الغربيين فقد أشار الدكتور طه حسين إلى مدرسة" أوس بن حجر" وقد آستمرأ هذا النهج في إطلاق المدرسة الأساتذة العقاد والمازني وشكري، فكانت مدرسة " الديوان" كما أطلقها آخرون على الأدب في المهجر على الخلاف الكبير بين أدباء المهجر في منازعهم الفكرية.

ولعل من هذا ما ذهب إليه الباحثون في عصرنا وفي تاريخ النحو والنحاة فأثبتوا مصطلح" المدرسة" في نحو البصريين ،ومثله" مدرسة الكوفة" و" مدرسة بغداد" ، ثم كان لهم أن قالوا " مدرسة المصريين" و "المدرسة الإفريقية" و"مدرسة الأندلسيين"، غير أنك حين تنظر في التراث النحوي وهو مادة البحث لا تجد أن جمهرة النحاة بصريين وكوفيين وغيرهم قد اختلفوا في أصول هذا العلم،ولم ينطلق هؤلاء من أفكار متعارضة ولكنهم اختلفوا غي مسائل فرعية تتصل بالتعليل والتأويل فكان لهؤلاء طريقة أو مذهب ولأولئك طريقة أو مذهب آخر... وقد تكون كلمة مذهب قد أطلقت على الطريقة التي سار عليها أحد النحاة كما قالوا مثلا مذهب سيبويه، أو كقولهم مذهب الأخفش والفرّاء[1].

[1] المصدر السابق ،ص12.

الفصل الأول: المدرسة البصرية أصولها لدى الأوائل:

ذهب الدارسون في عصرنا إلى أن البصريين أخذوا بالقياس كما أخذوا بالسماع، وأبوا أن يستدلوا بشاهد لم يعرف قائله ،وحملوا كثيرا من الشواهد التي خرجت على المسموع الشائع على أنها شاذة أو أنها ضرورة.

وهم في ذلك قد ذهبوا " يقصد الدارسين المعاصرين" إلى أن الكوفيين أخذوا كل ما سمعوا عن العرب فجعلوه أصلا يقاس عليه، وكأنهم أرادوا أن يقولوا إن الكوفيين لم يتوثقوا مما اعتمده أصلا، فقد قاسوا على النادر والشاذ ولم يتحروا صحة ما يصل إليهم من مواد.

اهتم البصريون بالسماع وتشددوا فيه وإن اهتمام سيبويه بالسماع عمن يوثق بعربيتهم كثير نجده واضحا في " الكتاب" في مواضع كثيرة، وهذا يعني أن سيبويه ومثله سائر البصريين يتشددون في السماع تشددهم في القياس فهم لا يأخذون إلا عمن يوثق بعربيتهم فصاحة وأصالة بسبب مخالطتهم غير العرب من الذين جاوروهم أو كانوا على مقربة منهم.

ولخص السيوطي الأمر فقال: "اتفقوا على أن البصريين أصح قياسا لأنهم لا يلتفتون إلى كل مسموع ولا يقيسون على الشاذ، والكوفيون أوسع رواية"

مصادر الدراسة عند البصريين:

1- **القرآن** : لقد اعتمد البصريون لغة التنزيل أصلا أقاموا عليه نحوهم.

2- **الشعر الجاهلي والإسلامي**: اعتمدوا الشعر الجاهلي أصلا من أصولهم وقد تجاوزوه إلى الشعر الإسلامي فكان لهم من شعر الفرزدق وجرير وأراجيز العجاج ورؤبة وأبي النجم مادة اعتمدوها في نحوهم، ولا بد أن ندخل في هذا المصدر ما رووه عن الأعراب جاهليين وغيرهم ممن انقطعوا إلى البداوة من قيس وتميم وأسد وهذيل وكنانة وطيء.

ويمكننا القول إن لغة التنزيل والشعر القديم جاهلية وإسلامية وما أثر من الأمثال الجاهلية كل أولئك كان المادة التي احتج بها البصريون في وضع أصول العربية، على أن عامة النحويين الأوائل من كلا المصريين قد استبعدوا الحديث في احتجاجهم.

ملاحظات الأستاذ السامرائي حول هذه الأصول:

– اعتمادهم لغة التنزيل: لقد اعتمدوا لغة التنزيل ولكنهم ضيقوا في هذا أشد الضيق، فلم يأخذوا بقراءات عدة وهي شيء من العربية ولها أساس في لغات العرب، فقد حملوا على الخطأ عدة قراءات منها:

– قراءة "عبد الله بن عامر" مقرئ الشام وأحد العشرة: وهي قوله: « **وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ** » سورة الأنعام :الآية137 ،بنصب " أولادهم" وجر " شركائهم" والخطأ المزعوم أنهم يمنعون الفصل بين المتضايقين " المضاف والمضاف إليه" في غير ضرورة الشعر.

2– تخطئتهم " معائش " بالهمز في قراءة "نافع" في قوله تعالى: « **لَهُمْ فِيهَا مَعَايِشَ** » سورة الأعراف الآية 10

وحجتهم في التخطئة أن الياء في معايش أصلية لأنها من المد في " معيشة" والمد الأصلي لا يبدل بهمزة على الرغم من تواترها.

3- تخطئتهم ما جاء في قراءة "حمزة" المشهورة « **وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ** » سورة النساء : الآية 01، بجر الأرحام، وحجتهم أنهم لا يجيزون العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار على الرغم من تواتر القراءة.

عدم أخذهم عن غير لغات القبائل السابق ذكرها المتوغلة في البادية:

فلم يأخذوا بلغات القبائل التي كانت مواطنها أطراف بلاد العرب كاليمن والعراق والشام ومصر، والخليج العربي.

ويقول الأستاذ: إن الدارسين ليقفون على الاضطراب الذي يعتور نظر النحاة الأوائل في تشددهم ومسارعتهم إلى التخطئة في كل ما ورد عن العرب... وقد يعجب المرأ حين يراهم يخطئون الجاهليين لقد عاب أبو جعفر النحاس على زهير بن أبي زهير بن أبي سلمى قوله:

فتنتج لكم غلمان أشأم كلَّهم

كأحمر عاد ثم تُرضع فتفطم.

ذهب أبو حاتم السجستاني إلى أن المراد: كأحمر ثمود فغلط.

وكان مثل هذا صنيع عبد الله بن أبي أسحق الحضرمي مع الفرزدق.

- موقفهم من الحديث النبوي الشريف:

قال الأستاذ:

"ومما يؤخذ على أولئك البصريين أنهم استبعدوا الحديث الشريف في استشهادهم بحجة أن الحديث في معظمه روي بالمعنى ولم يضبط بلفظه وأن كثيرا من المحدثين لم يكونوا عربا.

ويرد الأستاذ هذا القول بقوله: " وهذا نظر غير سديد ذلك أن رجال الحديث قد تحروا التدقيق والضبط وتشددوا في ضبط الحديث وأخضعوا هذه اللغة الشريفة إلى ما دعوه " الجرح والتعديل" الذي تناولوا فيه رواة الحديث ، فكان لهم فيه موازين دقيقة.

وكما أن الثقات من النقاد ومنهم الجاحظ قد أثنى على جماعة من أهل العلم من الموالي (غير العرب) كالحسن البصري وعمر بن فائد الأسواري وغيرهما بحيث اطمأن النحاة أنفسهم إلى علمهم وفصح عندهم الاعتماد عليهم، كما صح الاعتماد على سيبويه مثلا وهو غير عربي...

إلى أن يقول: على أن المتأخرين من النحويين قد استشهدوا بالحديث ومنهم ابن مالك ، وأبو حيان فقد بدا لهم أن الأوائل قد اشتطوا تجاوزوا العلم، ولا أدري كيف يتخذ النحويون لغة الشعر مادتهم في الاستشهاد بحيث كان للشعر الغلبة، على عامة الشواهد اللغوية والنحوية، ولم يأخذوا بالحديث؟ ومعلوم أن لغة الشعر لغة خاصة للوزن والقافية فيها سلطان، ومن هنا جاز للشاعر مالا يجوز للناثر فكيف تكون مادة تقوم عليها قواعد النحو؟

الفصل الثاني :المدرسة الكوفية أصولها وبدايتها وأصحابها:

لقد جعل المؤرخون للنحو القديم بداية النحو الكوفي موصولة بأبي جعفر الرّؤاسي وإلى مثل هذا ذهب المعاصرون، وهذا أصبح من المعلوم ذكره، فالنحو الكوفي بدأ بظهور أبي جعفر الرؤاسي وقد تتلمذ له الكسائي والفرّاء، وذكر ابن الأنباري أبو البركات أن له كتاب " الفيصل" وكان ثعلب قد أشار إلى أنه أول كتاب في نحو الكوفيين، وكتاب " التصغير" وكتاب " معاني القرآن" وأشار ابن النديم إلى أن هذا الكتاب كان يروى إلى أيامه ، وكتاب " الوقف والابتداء".

ولم يصلنا شيء من مادة كتبه المنثورة في الكتب التي ألفت بعده.

– وأشار المعنيون بالدرس اللغوي إلى عالم آخر هو " معاذ بن مسلم الهرّاء" وقد عد هذا وأبو جعفر الرؤاسي من أوائل الكوفيين.

– **الكسائي**: بعضهم يعدّه الأب الحقيقي للنحو الكوفي وقد تتلمذ على أبي جعفر الرؤاسي والهرّاء ، وعيسى بن عمر والخليل بن أحمد، وقرأ على أبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش " كتاب سيبويه"، وقد كان البصريون والكوفيون معا معجبين بالكتاب مقدرين للجهد الذي بذله " سيبويه" لذلك عنوا به درسا وإقراء وشرحا له وتفسيرا لغوامضه.

ويورد الأستاذ السامرائي ملاحظة هامة فيقول: ومن المفيد أن نعرض لمشاركة الكوفيين ولا سيما الأوائل منهم في العلم النحوي، فنقول ليس لنا من نحو الكسائي شيء كثير بل نجد من ذلك شذرات في كتب النحو القديم، وهي في جملتها لا تؤلف ولا يمكن أن تكون مادة يقوم عليها بناء نحوي في أصوله وفروعه ،فكيف يحق لنا أن نقول إنه بداية مدرسة نحوية؟

وكان البصريون ينكرون على الكسائي اعتماده على الشاهد الواحد فيجعله أصلا ويقيس عليه ومن هذا ما قاله فيه ابن درستويه من أصحاب المبرد: كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة فيجعله أصلا ويقيس عليه فأفسد النحو بذلك"

ملاحظة أخرى ذكرها الأستاذ وهو أن النحاة البصريين والكوفيين قد التقوا في مسائل كثيرة وتداخل علم هؤلاء وبعلم أولئك، فقد وافق الكسائي البصريين في مسائل كثيرة كما وافق الفرّاء البصريين في مسائل عدة، كما وافق الأخفش الكوفيين وكلك وافقهم ابن السراج في مسائل .

ومن غريب ما وافق فيه الكسائي البصريين استبعادهم الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف متابعا واضعي النحو من البصريين كأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمرو والخليل وسيبويه وكذلك فعل أئمة الكوفيين الآخرين كالفرّاء وعلي بن المبارك الأحمر وهشام الضرير.

ويتساءل الأستاذ السامرائي كيف يقع الكسائي وهو رأس الكوفيين في تناقض فهو من جهة يأخذ بالشاهد الشاذ فيقيم عليه أصلا ومن جهة لا يعتمد الحديث الشريف وهو لا يقارن بالشاهد اللغوي الصحيح فضلا عن الشاذ.

ويستدل بمسائل نحوية وافق فيها الكسائي البصريين ليبين تأثر الكسائي بالكتاب.

ويتعرض الأستاذ السامرائي إلى آثار الكسائي التي يذكر أصحاب الطبقات أن له كتاب " معاني القرآن" وكتاب "مختصر النحو" وكتاب " القراءات" وكتاب " العدد" وكتاب " النوادر الصغير والكبير " وغيرها ولم يصل إلينا شيء من تصنيفاته سوى رسالته المسومة ب: " وما تلحن فيه العوام"

ويستخلص الأستاذ الخلاصة التالية: إن ما نسب إلى الكسائي في النحو مما ذكر في كتب النحو" كمجالس ثعلب و"معاني القرآن" للفراء لا يمكن أن يكون مادة وافية تعين على معرفة نحو كثير يؤلف أسسا لمدرسة مزعومة، ثم بدأ الأستاذ في الكلام على تلاميذ الكسائي للوقوف على المادة النحوية التي أضافها التلاميذ إلى ما نقل عن الكسائي فذكر طرفا من أخبار الفرّاء واللحياني وثعلب وهم أشهر من أخذ عنه، فأما الفرّاء فقد تتلمذ للكسائي ولكنه يرى أن هذه التلمذة لم تكن ذات أثر في تهيئة الفرّاء في مكانته ومنزلته، فقد أخذ عن غيره وقد عكف على كتاب سيبويه يقرؤه ومنه وقف على مسائل الخليل وهي بالمئين، ويستشهد بنص ذكره الفرّاء يذكر فيه سبب اتصاله ولزومه الكسائي ويستنبط من هذا النص أن الفرّاء قد عرف الخليل بعد أن كان قد أخذ من العلم بنصيب.

وقد ذكر الأستاذ بعض المسائل التي خالف فيها الفرّاء شيخه الكسائي وركز على مسألة اقتران خبر لكن باللام ليتخذ منها منفذا لنقد الكوفيين فقال: جاء في " معاني القرآن " في الكلام عن اقتران خبر لكن باللام قول الفرّاء: وإنما نصبت العرب بها إذا شددت نونها لأن أصلها: إن عبد الله قائم فزيدت على" إن" لام وكاف فصارت جميعا حرفا واحدا ألا ترى أن الشاعر قال:

ولكنني عن حبها لعميد

فلم تدخل اللام إلا لأن معناها "إن" وهي فيما وصلت به من أولها بمنزلة قول الشاعر:

لهنَّكِ من عَبسيةٍ لَوسِيمةٌ عَلى هنوات كاذبٍ من يَقُولُها.

وصل" إن" هنا بلام وكاف، كما وصلها ثَمَّ بلام وكاف، والحرف قد يوصل من أوله وآخره، فمن وصل من أوله هذا وهاذاك، وصل ب "ها" من أوله، ومما وصل بآخره قوله "**إما تريني ما يوعدون**" وقوله لتذهبن وتجلسن، وصل بآخره بنون و ب " ما" ونرى أن قول العرب .كم مالك؟ إنها "ما" وصلت من أولها بكاف، ثم إن الكلام "كثر" بكم حتى حذفت الألف من آخرها فسكنت ميمها، كما قالوا: لِمْ قُلتَ ذاك ومعناه لِمَ قُلتَ ذَاكَ؟

ويعلق السامرائي إثر إيراد هذا المثال:" ومن المفيد أن نقف قليلا على هذه المادة من علم الفرّاء لنقول كيف يذهب أصحابنا الدارسون لنحو الفرّاء ونحو الكوفيين القائلين بمصطلح" المدرسة" إلى أنه النموذج الأصيل القائم على إدراك الحقيقة اللغوية العلمية، وكيف يغلو نفر منهم فتأخذه حماسة عارمة فيدعي أن نحو الفرّاء أو قل الكوفيين هو المثال أو النموذج الذي لا تدخله الحذلقة ولا يشوبه التكلف في التعليل والتأويل.

إن هذا التكلف والافتعال الذي وجدناه في مسألة اقتران خبر" لكن" باللام، وزيادة الكاف في " كم" متكلف بعيد وهذا التكلف أو قل هذه الصيغة الثقيلة نظيرا ما نجد عند البصريين من تأويلات وتعليلات فأين النحو النموذج.؟

وأين الأصول النحوية البعيدة عن المنطق في هذا التأويل، ألم يفعل البصريون نظائر هذا؟

- ثم ذكر اللحياني الذي يعتبر من مقدمي أهل الكوفة فقد أخذ عن الكسائي وأبي عمرو الشيباني من الكوفيين وعن أبي زيد والأصمعي وأبي عبيدة من البصريين، وذكر أنه لا يوجد شيء كثير يتصل بالنحو فيما أثر عن اللحياني، أي أنه يغلب عليه جانب اللغة ومن مسائل اللحياني ،اللغوية أن من العرب من ينصب ب "لم" وعلى هذه اللغة قراءة من قرأ " **أَلَّمْ نَشْرَحَ لَكَ صَدْرَكَ** " سورة الشرح : الآية 01، بفتح الحاء ومنه قول الراجز.

في أي يوميّ من الموت أفِر أيوم لم يُقدرَ أمْ يَوْمَ قُدِرْ.

ومن مسائله أن العرب من تجزم " بأن" وعليه قول الشاعر:

أُحَاذر أَنْ تَعلمْ بها فتردَّها فتتركَها ثقلا عليَّ كما هيا.

ويعلق الأستاذ على مسائل اللحياني" كأن اهتمام اللحياني بهذه المواد يتأتى من أنه لغوي يتعقب النوادر على طريقة اللغويين في عصره...

- وفي كلام السامرائي عن ثعلب ذكر بأنه من النحويين الكبار وقد عرف بمجالسه ومناظراته للمبرد، كما عرف بكتابه" الفصيح" الذي لا يذكر إلا بنسبته إليه، فيقال فصيح ثعلب، كما ذكر أيضا اهتمام ثعلب بالشعر فقد كان معنيا به، فله في نقده " قواعد الشعر" وله شروح لعدة دواوين قد جمعها منها ديوان زهير بن أبي سلمى.

ثم تكلم عن مسائل ثعلب التي وردت في " مجالس ثعلب" وهي كثيرة تتناول النحو والصرف، يشير فيها إلى أقوال الفرّاء وقد يوجد فيها بشيء مما قاله الكسائي[1]

وذكر من مسائل ثعلب تسعا وثلاثين مسألة من بينها أعاريبه وهي عدة صفحات وذكرها أو ذكر معظمها يخرجنا عن منهج التلخيص لآراء السامرائي ولكن نكتفي باليسير في هذه المسائل.

– إن ورفع اسمها:

قال أنشدني محمد بن إبراهيم لامرأة بدوية:

فليت ابن جواب من الناس حظنا وإن كنا في النار بعد خلود.

قال وقولها: " وأن لنا في النار بعد خلود" قال رفع عن الاستئناف وحكى الكسائي والفرّاء جميعا" إن فيك زيد راغب" وقال بطلت " إن" لما تباعدت.

– **أن واعمالها محذوفة:** وأنشد:

أَلَا أَيُّهذَا الزَّاجري أحضرَ الوغى وأن أشهدَ اللذاتِ هَلْ أَنت مُخْلِدِي.

ويروى " أحضر" وقال الرفع قياس.

ومما جاء إهمال "أن" مذكورة ما جاء في الصفحة(322) وأنشد:

أن تقرآن على أسماء ويحكما مني السلام وألا تشعرا أحدا.

قال هذه لغة تشبه ب " ما" وأنشد:

يا صاحبيَّ فَدتْ نفسي نفوسكما وحيثُما كُنتما لَقَّيتمَا رَشَدَا.

إن تحمِلا حاجة لي خَفَّ محملها تَسْتَوْجِبَا نعمة عندي بها ويَدَا.

أن تقرآنِ على أَسماءَ ويَحَكُمَا مِنِّي السلام وألا تُخْبِرَا أَحَدَا.

وفي صفحة(160) الفرّاء يقول " لدن غدوة" ينصب ويرفع ويخفض ، فتأويل الرفع لدن كان غدوة، وينصب بخبر "كان"، ويخفض بـ " عند" أي عند غدوة ، ويقال أيضا إذا رفعت هي بمعنى " مُذ"

[1] ينظر، المدارس النحوية أسطورة وواقع، ص،49ومابعدها.

وفي الصفحة(40): في قوله تعالى:﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ** ﴾ سورة البقرة :الآية 217 ، قال "عن قِتالٍ فيه كما تقول: ضربتُ الرَجُلَ رَأْسَهُ".

الفصل الثالث: استقراء مسائل الخلاف:

خصص الأستاذ السامرائي هذا الفصل لاستقراء مسائل الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين، واعتمد في هذا الاستقراء على ما ورد في كتب الخلاف وخاصة كتاب " الإنصاف في مسائل الخلاف" لأبي بركات بن الأنباري، ويذكر هذه المسائل الجزئية دون ذكر أدلة الفريقين ودون قيامه بالترجيح بين هذه الخلافات وإنما هي مجرد خلاصات.

ولا سبيل إلى ذكر هذه المسائل كلها لأن هذا يعني نسخ الكتاب وإنما نكتفي ببعض المسائل.

من أهم المسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ما يتصل بفكرة العامل التي قال بهما الفريقان، والخلافات المتعلقة بالعامل تعود إلى اختلافهم في تقدير العامل، ومن هذه المسائل:

- يرى الكوفيون أن المبتدأ يرفع الخبر، والخبر يرفع المبتدأ فهما يترافعان.
- يرى البصريون أن المبتدأ يرتفع بابتداء (رافع معنوي) والخبر بالابتداء أو بالابتداء والمبتدأ، أو بالمبتدأ.
- يرى البصريون أن الاسم يرتفع بالابتداء إذا وقع بعد" لولا" ويرى الكوفيون أنه يرتفع ب " لولا".
- يرى البصريون أن الفعل يعمل وحده في الفاعل والمفعول.
- ويرى الكوفيون أن العامل في المفعول النصب، الفعل والفاعل جميعا، أو الفاعل، وقال بعضهم أن العامل في الفاعل معنى الفاعلية وفي المفعول معنى المفعولية.
- يرى البصريون أن خبر " ما" الحجازية منصوب بها.
- يرى الكوفيون أنه منصوب بحذف حرف و" ما" غير عاملة.

- يرى البصريون أن المستثنى منصوب بالفعل، أو بمعنى الفعل بتوسط" إلا".

ويرى الكوفيون أنه منصوب ب" إلا" ووافقهم المبرد والزجاج من البصريين.

وقال الفرّاء وجماعة: إن "إلا" مركبة من " أن" و" لا" ثم خففت " إن" وأدغمت في " لا" فنصبوا بها في الايجاب اعتبارا ب" إن" وعطفوا بها في النفي اعتبارا ب "لا".

- يرى البصريون: أن " واو" رب لا تعمل، والعمل ل "رب" مقدرة.

ويرى الكوفيون: أن الواو تعمل في النكرة الخفض بنفسها ووافقهم المبرد من البصريين.

- يرى البصريون: أن الفعل المضارع يرتفع لقيامه مقام الاسم، ويرى الكوفيون أنه يرتفع لتعريه من العوامل الناصبة والجازمة، وقال الكسائي يرتفع بالزوائد في أوله.

- يرى البصريون: أن الفعل بعد " لام كي" منصوب بأن مقدرة بعدها نحو جئتك لأن تكرمني، ويرى الكوفيون أن اللام هي الناصبة للفعل من غير تقدير " أن".

- يرى البصريون : أن الاسم يرتفع إذا تقدم بعد " إن" الشرطية بتقدير فعل والفعل بمظهر مفسر " للفعل المضمر".

وقال الأخفش: يرتفع بالابتداء.

- ويرى الكوفيون : أنه يرتفع بما عاد إليه من الفعل من غير تقدير فعل .

- يرى البصريون: أن "كي" تكون حرف نصب ويجوز أن تكون حرف جر.

ويرى الكوفيون :أنها لا تكون إلا حرف نصب ولا يجوز أن تكون حرف خفض.

وقد احتج الكوفيون بالقياس، في حين احتج البصريون بجواز دخولها على ما الاستفهامية.

- يرى البصريون: أن " حتى" حرف جر والفعل منصوب بعدها بتقدير أن ، والاسم مجرور بها.

ويرى الكوفيون: أن " حتى" تكون حرف ينصب الفعل من غير تقدير " أن" وتكون حرف خفض من غير تقدير خافض.

مسائل خلافية بين البصريين والكوفيين تتصل ببناء الجملة وترتيب أجزائها:

- يرى البصريون: أن تقديم خبر المبتدأ عليه مفردا كان أو جملة جائز ويرى الكوفيون: أنه غير جائز وقد احتج البصريون بما ورد من كلام العرب وأشعارهم واحتج الكوفيون بالقياس.

- يرى البصريون : جواز تقديم خبر " ليس" عليها كما يجوز تقديم خبر"كان" عليها.

- ويرى الكوفيون أن تقديم خبر " ليس" عليها غير جائز ووافقهم المبرد .

واحتج البصريون بما ورد في لغة التنزيل وأول الكوفيون القراءة.

– يرى البصريون: عدم تقديم معمولات: عليك ودونك، وعندك في الاغراء ووافقهم الفرّاء، واحتج الكوفيون بما جاء في لغة التنزيل وما نقل عن العرب وبالقياس، واحتج البصريون بالقياس وأولوا ما استدل به الكوفيون.

– يرى البصريون جواز تقديم الحال على الفعل العامل فيها مع الاسم الظاهر والمضمر، واحتج الكوفيون بالقياس واحتج البصريون بالنقل و القياس.

– يرى البصريون عدم جواز الفصل بين المتضايقين بغير الظرف وحرف الجر.

ويرى الكوفيون: جواز ذلك في ضرورة الشعر، واحتجوا بالمسموع من أشعار العرب.

واحتج البصريون بالقياس وردوا قول الكوفيين بأنه قليل وهو مع قلته مما لا يعرف قائله فلا يحتج به.

– يرى البصريون: عدم جواز إضافة النيف إلى العشرة، نحو: خمسة عشرة ويرى الكوفيون جواز ذلك محتجين بالقياس، وبما ورد من كلام العرب ، واحتج البصريون بالقياس أيضا ، وقالوا إن البيت الذي احتج به الكوفيون مما لا يعرف قائله، فلا يؤخذ به وهو ضرورة.

– يرى البصريون: أن الاسم المفرد النكرة المنفي ب" لا" مبني على الفتح ، ويرى الكوفيون أنه منصوب واحتجوا بالقياس، كما احتج البصريون بقياس آخر.

– اختلافهم في الإعراب التقديري:

– يرى البصريون أن الألف والواو والياء في التثنية والجمع حروف إعراب وذهب الأخفش والمبرد والمازني إلى أنها ليست بإعراب ولا حروف إعراب ولكنها تدل على الإعراب.

وقال الجرمي انقلابها هو الاعراب.

ويرى الكوفيون أن هذه الحروف بمنزلة الفتحة والضمة والكسرة، في أنها إعراب ووافقهم قطرب.

واحتج الكوفيون بالقياس، كما احتج البصريون بقياس آخر.

الاختلاف في معنى الأداة:

– يرى البصريون : أن اللام في قولهم : "لزيد أفضل من عمرو" لام الابتداء.

ويرى الكوفيون أنها جواب قسم مقدر، والتقدير والله لزيد...

واحتجوا بجواز أن يليها المفعول الذي يجب له النصب، ولو كانت للابتداء لوجب أن يكون ما بعدها مرفوعا.

واحتج البصريون أنها إذا دخلت على مفعول " ظن" أوجبت له الرفع.

– يرى البصريون أن " إن" الشرطية لا تقع بمعنى " إذا" وأجاز ذلك الكوفيون محتجين بما ورد في لغة التنزيل وكلام العرب.

واحتج البصريون ببقائها على معناها مادام الدليل غير موجود على خروجها عن هذا المعنى، وأولوا ما احتج به الكوفيون.

مسائل الاختلاف المتعلقة ببنية الكلمة وما يتعلق بالأصوات والأبنية والاشتقاق:

– يرى البصريون عدم جواز نقل حركة همزة الوصل إلى الساكن قبلها ، ويرى الكوفيون جواز ذلك.

وأجمعوا على جواز نقل همزة القطع إلى الساكن قبلها نحو: مَنَ أَبُوك؟ واحتج الكوفيون بوروده في لغة التنزيل وبالقياس واحتج البصريون بالقياس وأولوا ما استدل به الكوفيين.

– يرى البصريون: أن علامة التأنيث قد حذفت من " طالق" و "حائض" و"حامل" لأنهم قصدوا النسب، ولم يجروه على الفعل ، وقال بعضهم حمل على المعنى ويرى الكوفيون أنها حذفت لاختصاص المؤنث به.

– يرى البصريون أن السين التي تدخل على الفعل المضارع أصل وأن أصلها سوف عند الكوفيين، واحتج الكوفيون بما سمع عن العرب من حذف الفاء وحذف الواو وبالقياس، واحتج البصريون بالقياس وقالوا فيما استدل به الكوفيون من حذف أحد الحرفين إنه شاذ أو تفرد به بعض الكوفيين.

– يرى البصريون أن " إيا" من " إياك" و" إياه" و"إياي" هي الضمير والكاف والهاء والياء حروف لا موضع لها، وقال الخليل " إيا" اسم مضمر أضيف إلى ما بعده لأنه لا يفيد معنى بانفراده بخلاف غيره فخص بالإضافة عما منعه.

وقال المبرد: " إيا" اسم مبهم للتخصيص ولم يضف غيره.

وقال الزجاج اسم مضمر خص بالإضافة إلى سائر المضمرات، وهي في موضع جر بالإضافة .

وقال الكوفيون "إيا" عماد، والكاف والهاء والياء هي الضمائر المنصوبة وقال بعضهم " إياك" بكاملها ضمير.

واحتج الكوفيون بقياس كما احتج البصريون بقياس آخر.

من مسائل اختلاف مواد اختلفوا : فعل هي أم اسم أم حرف.

- اختلفوا في " نعم" و"بئس" فقال البصريون إنهما فعلان ماضيان لا يتصرفان ووافقهم الكسائي.

وذهب الكوفيون إلى أنهما اسمان مبتدآن، واحتجوا بالقياس على المسموع من كلام العرب.

- واختلفوا في "أفعل" التعجب فذهب البصريون إلى أنها فعل ووافقهم الكسائي.

وذهب الكوفيون إلى أنها اسم، واحتجوا بقياس، كما احتج البصريون بقياس آخر.

- ويرى البصريون أن " حاشا" حرف وقال المبرد يكون فعلا ويكون حرفا .

ويرى الكوفيون أنه فعل ماض، وقال بعضهم إنه فعل استعمل استعمال الأدوات[1]

الفصل الرابع: المصطلح النحوي

لقد حفل الدرس النحوي بمصطلحات وافية واشتمل على مواد كثيرة ودلالات كبيرة وصغيرة، وقد مر المصطلح الذي نستعمله في عصرنا بمراحل عدة وحدثت فيه تغيرات إلى أن استقر على ما نعرف اليوم في كتب متأخري النحاة وفي الكتب المدرسية.

وسنعرض أولا للمصطلحات القديمة كما ظهرت عند القدماء من نحاة البصرة ومن المفيد أن نذكر أن هذا **المصطلح** شمل أبواب العربية نحوا وصرفا وفوائد أخرى .

ومن أقدم المصطلحات التي ظهرت أقسام الكلم، فقد جاء في خبر الصحيفة التي زعموا أن الإمام عليا ألقاها إلى أبي الأسود وفيها: بسم الله الرحمن الرحيم" الكلام كله اسم وفعل وحرف... ولا يهمنا إذا كان هذا الخبر صحيحا أم لا، ولكن المحقق أنها ذكرت منذ القدم فقد قال سيبويه في " الكتاب" الكلم اسم وفعل وحرف...

- الأسماء المبهمات:

[1] ينظر، المدارس النحوية أسطورة وواقع،ص92.

وتعني اسم الاشارة والموصول والضمير.

فقد جاء في " الكتاب" وأما الأسماء المبهمة فنحو هذا وهذه وهذان هاتان وهؤلاء وذلك وتلك وذاك وأولئك وما أشبه ذلك ، وإنما صار معرفة لأنها صارت أسماء إشارة.

وسمى البصريون أسماء الإشارة مبهمات لأنها لا تتعرف إلا بالإشارة إلى الشيء دون سائر أمته، ولهذا غلب اسم الإشارة وقل إطلاق المبهم.

- **والموصول**: حرفي واسمي.

اسمي وهو: الذي ونحوه وهو مبهم لافتقاره إلى جملة الصلة وإلى ضمير عائد وشاع هذا المصطلح إلا أن سيبويه لم يشر إليه صراحة ، فقال: وما كان بمنزلة " الذي" و " التي" ودعا الزجاج هذه الأسماء النواقص لافتقارها.

وسمى سيبويه الصلة حشوا، ثم استعمله الكوفيون مع الصلة أيضا.

– **الضمير**: جاء مصطلح الإضمار في كتاب سيبويه، وذلك في قوله: وأما الإضمار فنحو: هو، إياه، أنا، ونحن وأنت ... والتاء في فعلت...

ثم عرف الضمير كثيرا بعد حقبة سيبويه فقد وجد في " معاني القرآن" للأخفش ثم انتشر بعد ذلك.

– **الفعل**: مصطلح قديم فقد ذكر الزبيدي أن أبا الأسود هو أول من استعمل الفعل ، وقد ورد في " الكتاب" ثم جاء ذكر الفعل المتعدي واللازم والمبني للمعلوم والمبني للمجهول، والماضي والمضارع والأمر والأفعال الناقصة.

– **أسماء الأفعال**: استعمل سيبويه " اسم الفعل" كما استعمله سائر البصريين، وقد عبر عنه ابن السراج بالاسم الذي يسمى به الفعل.

- **الإعراب**: ورد في " الكتاب" ولكنه يفهم بالشرح فقال " هذا باب مجاري أواخر الكلم من العربية وهي تجري على ثمانية مجار، على النصب والجر والرفع، والجزم ، والفتح والكسر، والضم والوقف..."

وقد استعمل سيبويه هذا المصطلح للدلالة على حروف الإعراب فقال: الرفع والجر والنصب والجزم لحروف الإعراب ،وحروف الإعراب للأسماء المتمكنة وللأفعال المضارعة لأسماء الفاعلين التي في أوائلها الزوائد الأربع: "الهمزة والتاء والباء والنون".

وقال المبرد: فإعراب المضارع الرفع، والنصب والجزم ، فالرفع بضمة حرف الإعراب والنصب بفتحته، والجزم بحذف الحركة منه.

– البناء:

فقد استعمل في كتب الأقدمين ومن ذلك قولهم :البناء: هو لزوم آخر الكلمة ضربا واحدا من السكون او الحركة لا شيء أحدث ذلك من العوامل، وكأنهم إنما سموه بناء لما لزم ضربا واحد، فلم يتغير الإعراب من حيث كان البناء لازما موقعه، ولا يزول من مكانه لغيره،و نسب السامرائي هذه الفقرة إلى ابن الجني في الخصائص.

وكذلك مما ينبغي ذكره مصطلحات الصرف والممنوع من الصرف هو مما نجده في كتب الأقدمين أيضا.

– المرفوعات:

من المصطلحات التي استعملوها:

– المبتدأ، والخبر، ومصطلح الابتداء ، والمسند إليه : وهو قليل وكذلك مصطلح الفاعل، والفاعلية.

ونائب الفاعل وقد عبروا عنه بـ " المفعول الذي لم يتعد إليه فعل الفاعل ولم يتعده إلى مفعول آخر" هكذا عبر عنه سيبويه، وقد عبر عنه بطريقة أخرى " المفعول الذي يتعداه فعله إلى مفعوله"

وقال ابن السراج والأخفش والزمخشري: "ما يقوم مقام الفاعل"

وهذه الاستعمالات والتعابير هي شروح وليست مصطلحات.

المنصوبات والمجرورات:

ابتدأت بدايات سيرة في كتب الأوائل مع خلافات بينهم ثم استقرت على ما نعرف اليوم.

وكذلك تجاوز استعمال المصطلح أبواب المرفوعات والمنصوبات والمجرورات إلى مصطلحات لغوية نحوية تتعلق بالمشتقات كاسم الفاعل، واسم المفعول، وأبنية الصفات وما يتصل بالتوابع وأسماء الأدوات كأدوات العطف والنصب والجزم...

الفصل الخامس: المصطلح النحوي لدى الكوفيين :

دل الدرس النحوي أن مصطلحات الكوفيين لا تتصف بالشمول والسعة فهي تتصل بمسائل عدة ولكنها لا تفي بحاجة النحوي المتخصص.

وهذا يعني أن الكوفيين استعملوا بعض مصطلحات البصريين، ثم إن المصطلحات التي استخدموها هم لم تكن تختص بهم فقد استعملها البصريون أيضا ومن هذه المصطلحات:

– الكناية والمكني:

هذان المصطلحان يعنيان" الضمير" و "المضمر" لدى البصريين،وكان الفرّاء أول من استعملهما، ونجدهما عند الفرّاء في " معاني القرآن" وثعلب في " المجالس".

ولكن استعمال قدماء الكوفيين لمصطلحي الكناية والمكني لا يعني أنّهم اكتفوا بهما فقد ثبت استعمالهم أيضا للمصطلح المقابل لهما عند البصريين وهو " الضمير"، قال الفرّاء:" فلما لم يكن في " ما" ضمير الاسم قبح دخول الباء وحسن ذلك في ليس ، ان نقول ليس بقائم اخوك، لأن ليس فعل يقبل المضمر كقولك لست ولسنا (معاني القرآن ، ومجالس ثعلب...)

ومن الناحية الأخرى استعمل البصريون مصطلح الكوفيين (المكني)ومن هؤلاء: ابن السراج والزجاجي وكذلك فعل بعض المتأخرين كالزمخشري وابن يعيش.

ومن الكناية ما يدعوه الكوفيين " عماد" ويقابله عند البصريين" ضمير الفصل" ولا يرى البصريون لضمير الفصل محلا للإعراب، ويرى الكوفيون له وظيفة إعرابية هي التوكيد على خلاف بينهم فيما إذا كان " العماد" توكيد لما قبله أو لما بعده، ومن الجدير ملاحظة أن الفرّاء وثعلب استعملا مصطلح آخر في معنى العماد هو " **المجهول**"، إلا أن استعمالهم " **للعماد**" أكثر من استعمالهم " للمجهول".

– نون العماد:

وتعني " **نون الوقاية**" المعروفة وهذا يدل على أن الاختلافات بين الكوفيين والبصريين لم تمس إلا أمور فرعية.

وهذه النون تسبق الياء مع الفعل وغيره، وتلازمها ،ومن أجل ذلك ذهب أبو بكر بن الأنباري وهو كوفي إلى أنها مع ياء المتكلم وأنها حرف واحد هو الاسم فالنون والياء في نحو تركتني، ورأيتني حرف واحد هو الاسم لا حرفان منفصلان .

- حروف المثل:

وهذا من مصطلحات الكوفيين للدلالة على أسماء الإشارة جاء في " **لسان العرب**" أن أهل الكوفة يسمون **ذا، تا، وذلك، وهذا ، وهذه وهؤلاء، والذي والتي واللاتي** حروف المثل ،وأهل البصرة يسمونها حروف الاشارة أو الأسماء المبهمة.

وهذا يعني أن مصطلح " **المثل**" يدل على الأسماء الموصولة أيضا.

– الفعل:

هذا مصطلح التزم به البصريون والكوفيون ، والكوفيون استعملوا مصطلح الفعل المستقبل إذا كان الحدث دالا على الحال أو الاستقبال وهو ما يقابل المضارع لدى البصريين، قال ثعلب: ولا تجيء "عسى" إلا مع المستقبل ولا تجيء مع ماض ولا "دائم" والدائم في عبارة ثعلب تعني اسم الفاعل.

فعل الأمر: فعل الأمر لدى الكوفيين ليس قسيما للماضي والمضارع بل هو من المستقبل ومقتطع منه، ويتبعه في حركاته وهو معرب مجزوم وكأنه جزم بلام الأمر المحذوفة، فقولنا " قم" تقديره لتقم، وهذه المسألة من مسائل الخلاف وفيها كلام طويل مبسوط في كتاب " الإنصاف في مسائل الخلاف"

– الدائم:

هذا المصطلح أو " الفعل الدائم" عند الكوفيين هو للدلالة على أن اسم الفاعل وهو عندهم قسيم للماضي والمستقبل (المضارع) والدائم عندهم مخصوص بالعامل منه عمل الفعل.

ومما قال ثعلب: " ولا يحال بين الدائم والاسم بـ :" ما" نحو: طعامك ما آكل زيد..."

– تسمية المصدر فعلا:

أطلق الكوفيون وغيرهم مصطلح " **الفعل**" على المصدر لما لمحوا من أن الفعل والمصدر مشتقان وكلاهما حدث، وكلاهما عامل.

قال الفرّاء: والفعل " المصدر" لا يكاد يجمع ألا ترى أنه قال تعالى: « **لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا** » سورة الفرقان: الآية 14، فلم يجمعه وهو كثير...

– ألفاظ أسماء الأفعال:

عليك ، ودونك، وأمامك ، ووراءك ، هيهات... مما عده البصريون " **أسماء أفعال**" غير أن الكوفيين جعلوهما "أسماء" مع استعمالها المعروف ، قال الفرّاء: " تعليقا على قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُم أَنْفُسَكُم**﴾ سورة المائدة : الآية105، هذا أمر من الله عز وجل كقولك عليكم أنفسكم" والعرب تأمر من الصفات ب " **عليك وعندك" و "دونك وإليك**" يقولون : " **إليك إليك**" يريدون تأخر كما تقول **وراءك**...

– الخالفة أو الخلفة:

أطلق الفرّاء " **الخلفة**" على اسم الفعل " **دونك**" في كلامه عن البيت الآتي:

يا أيها المانح دلوي دونكما إني رأيت الناس يحمدونكما

وتنصب " الدلو" بمضمر في الخلفة كأنك قلت " **دونك دلوي دونك**"

وقال جماعة أن أول من أطلق مصطلح " **الخلفة**" ابن صابر الأندلسي ولربما أخذ ذلك من الفرّاء.

– الفعل الواقع وغير الواقع:

استعمل الكوفيون مصطلح " الواقع" يقصدون به الفعل المتعدي كما حكى عنهم ابن منظور في اللسان.

قال الفرّاء:" ... لأن الفعل فيه إذا فتح يكون على وجهين ، فأما الذي يقع فالواو منه ساقطة مثل وزن يزن ، والذي لا يقع تثبت واوه في " **يفعل**" والمصادر تستوي في الواقع وغير الواقع".

وهذا لا يعني أن الكوفيين جميعا يطلقون مصطلح الواقع ويكتفون به فثعلب يستعمل الفعل المتعدي مع استعماله المصطلح الكوفي ، ومن ناحية أخرى وجدنا المبرد والزجاج يستعملون المصطلح الكوفي مع استعمالهم مصطلحهم الخاص وبالإضافة إلى هذا الاستعمال فقد استعمل الكوفيون مصطلحات أخرى للفعل المتعدي منها : " المجاوز" " القاصر" و "غير المجاوز" بمعنى المتعدي واللازم.

– الفعل التام والناقص:

للفراء استعمال خاص فالفعل المتعدي لمفعول واحد يسميه: "الفعل التام"، أما الذي يتعدى إلى أكثر من مفعول مثل : " ظن" و "حسب" وأخواتها فإنه يدعوه فعلا ناقصا وذلك في قوله: " والعرب إذا أوقعت فعل شيء على نفسه فقد كني فيه عن الاسم ،قالوا في الأفعال التامة غير ما يقولون في الأفعال الناقصة: فيقال قتلت نفسك وأحسنت إلى نفسك...

فإذا كان الفعل ناقصا مثل حسبت وظننت قالوا أظنني خارجا ، وأحسبني خارجا"

– الأداة: هو مصطلح كوفي يقابله عند البصريين " الحرف" ويراد بذلك حروف المعاني على كثرتها واختلاف وظائفها.

ولا نعدم أن نجد الكوفيين يستعملون أيضا الحرف في " أدواتهم" كما نجد أيضا البصريين يستخدمون أيضا **الأداة** كما عند ابن السراج في" الأصول" وابن جني في " سر صناعة الاعراب" والحريري في " درة الغواص"

المرفوعات:

مالم يسم فاعله:

هذا المصطلح خاص بالكوفيين وإن كان بعض البصريين قد استعملوه كالمبرد وابن السراج والزجاجي وابن جني وغيرهم.

المجهول:

استعمل الكوفيون مصطلح المجهول للدلالة على " ضمير الشأن " ولكن الفرّاء استخدم مصطلح المجهول للدلالة على " مالم يسم فاعله" قال معلقا على قوله تعالى: ﴿ **وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا**﴾ سورة المعارج :الآية 10،قوله : ولا يسأل ذو قرابة عن قرابته ،ولكنهم يعرفونهم ساعة ثم لا تعارف بينهم بعد تلك الساعة ببناء يعرفونهم للمجهول.

علما أن مصطلح" نائب الفاعل" من وضع ابن مالك وقد كتب لهذا المصطلح الشيوع حتى غطى على غيره من المصطلحات.

الفعل:

أطلق الفرّاء مصطلح " الفعل" على خبر المبتدأ مع دلالته على الحدث، وهذا في قوله: "وتقول في مسألتين منه يستدل بهما على غيرهما إنها أسد جاريتك فَأَنَثْتَ "- أي الضمير- لأن الأسد فعل للجارية ولو جعلت الجارية فعلا للأسد ومثله من المذكر، لم يجز إلا تذكير الهاء...

- ويطلق الفرّاء مصطلح الفعل للدلالة على المفعول الثاني كما في كلامه على قوله تعالى: " واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي" قال إن شئت أوقعت " اجعل" على "هارون أخي" وجعلت الوزير فعلا له"

وهكذا نرى أن" الفعل" قد أطلق على أربعة مفاهيم هي " الفعل"، و"الخبر" و" المفعول به الثاني" وعلى المصدر في مصطلح اللغويين وليس هذا عنصر قوة في المصطلح.

الاستيتاء: جاء في "مقدمة في النحو" لخلف الأحمر أن الإغراء يسميه الكوفيون " الاستيتاء" ويسميه البصريون" القطع" والاستيتاء مصدر استأتاه أي طلب أن يأتيه .

المصدر : يطلق الكوفيون" المصدر" على ما ندعوه " المفعول المطلق " و"المفعول لأجله "

التفسير: أطلق الفرّاء هذا مصطلح التفسير على " المفعول به" ،ويرجح الأستاذ السامرائي أن الفرّاء أخذ مصطلح التفسير من " الكتاب " .

– وقد أطلق الفراء هذا المصطلح أيضا على ما يسمى " المفعول معه " قال : إن موقع "من " في قوله تعالى : « **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ** » سورة الأنفال:الآية64، في موضع على تفسير .

– وقد توسع الكوفيون فأطلقوا التفسير على معنى" التمييز" عند البصريين.

والذي نتبنيه مما ورد في " البحر المحيط" أن القراء أول من سمى من الكوفيين التمييز تفسيرا أو مفسّرا.

المترجم: هذا المصطلح أطلقه الفّراء أيضا على "التمييز "،وهذا التعدد في المصطلح للمادة نفسها يدل على أن الكوفيين لم يكن لديهم استقرار في المصطلح وكذلك وضعوا المصطلح الواحد لمفاهيم متعددة.

القطع: عبر الكوفيون عما يعرف بالحال بمصطلح (القطع) قال الفرّاء في قوله تعالى: « **ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ** » سورة البقرة :الآية02، فأن النصب في أحد الوجهين فان تجعل الكتاب خبرًا لـ "ذلك" فتنصب "هدى" على القطع من الهاء التي فيه ،كأنك قلت لا شك فيه هاديا.

والفرّاء نفسه يستعمل أحيانا مصطلحات "خارج" أو "خروج" أو "إخراج "للدلالة على القطع المشار إليه، ويسميه أيضا فعلا فيضيفه إلى الدلالات الكثيرة لمصطلح "الفعل" عند الكوفيين.

وأحيانا نجدهم يستعملون" الحال" الذي يستعمله البصريون ،ولكن الحال عندهم يتناول أيضا خبر كان وأخواتها والمنصوب على الاختصاص.

المجرورات: أهم مصطلح اشتهر به الكوفيون في المجرورات هو:

الخفض: وهو يقابل الجر عند البصريين، والوجه أن يقال إن الخليل هو أول من استعمل الخفض وقد تابع بعض البصريين الخليل في استعمال الخفض أيضا من أمثال المبرد وابن السراج والزجاجي وابن قتيبة والسيرافي وابن جني.

التوابع:

النعت: هو مصطلح كوفي ولكنه شاع عند النحاة المتأخرين ، وقد استعمل المتأخرون النعت وكذلك "الصفة " الذي هو المصطلح البصري المقابل، وقد ميز الأوائل ومن بينهم الخليل بين الصفة والنعت

فالنعت لا يكون إلا في الصفات المحمودة والوصف يكون في المحمود وغير المحمود، وقال بعضهم إن النعت هو الصفة الراسخة، والوصف الصفة الراسخة وغير الراسخة ،و على القولين تكون الصفة أعم من النعت.

وهذا لم يمنع الكوفيين من استعمال المصطلح البصري وهو " الصفة" كما نجده عند الفرّاء مع العلم أن سيبويه قد استعمل" النعت" في "الكتاب" الأمر الذي يرجح أن " النعت قد استعمله البصريون الأوائل واقتبسه الكوفيون واستعملوه، ويؤكد هذه الفرضية أن غير سيبويه قد استعمله أيضا كالمبرد والزجاجي وابن السراج من البصريين.

الترجمة والتبيين و التكرير والتفسير والعبارة:

كل هذه المصطلحات عند الكوفيين تقابل المصطلح البصري " البدل" وهذا يؤكد أن المصطلح الكوفي لا يفي بالقيمة الاصطلاحية فهو واسع يتردد في كلمات عدة.

التكرير:

يقابل "التوكيد" عند البصريين، وقد عبر الفرّاء عنه أيضا "بالتشديد" وبعد فهذه نبذة عن المصطلحات النحوية الكوفية وهي لا تتصف بالسعة و الشمول اللذين نجدهما لدى البصريين كما أنها "تتصف" بسمة من سمات الضعف المصطلحي وهو التعدد المصطلحي وكذلك الاشتراك المصطلحي عدة "مفاهيم مقابل مصطلح واحد"[1]

الخاتمة: ألنا مدارس نحوية:

في هذه الخاتمة يركز الكاتب إبراهيم السامرائي كلامه من أجل الإجابة عن السؤال الإشكالي الجوهري الذي ألف الكتاب من أجله وهو: ألنا مدارس نحوية؟

ليستخلص في النهاية أنه لا توجد لدينا في تراثنا النحوي العربي ما يعرف بالمدرسة النحوية، وأن بعض القدماء قد تساهلوا في إطلاق المذهبين البصري والكوفي على الخلافات الموجودة بين نحاة الإقليمين، فلا يوجد إلا المذهب البصري وأن هناك رؤى و خلافات تبناها الكوفيون لا ترقى إلى إطلاق كلمة مذهب بله مدرسة.

[1] ينظر: المدارس النحوية أسطورة وواقع،ص136.

فهذه الخلافات لا تطال الأصول وإنما تتناول الفروع والجزئيات ويوجد بين الفريقين من الخلاف مثلما يوجد بين النحاة البصرة أو الكوفة فيما بينهم.

وليس هناك صرامة مصطلحية فالفريقان كثيرا ما يستخدمان مصطلحات بعضها إضافة إلى أن المصطلحات الكوفية لا تتوفر على الكفاية اللازمة ولا الشمول لكل مسائل الدرس النحوي ناهيك عن الاضطراب والفوضى المصطلحية و التعدد والاشتراك.

أما من حيث المادة النحوية فلم نجد مرجعا لأمهات مسائل النحو مستقصاة ألفه الكوفيون فيما وصلنا،كما لدينا من أمهات النحو البصري ك " الكتاب" و "المقتضب" و " الأصول" بالإضافة إلى كثرة نحاة البصرة الذين صُنفوا لكثرتهم في طبقات كثيرة أما النحاة المنسوبون إلى الكوفة فغالبيتهم عرفوا باللغة ورواياتها أكثر من النحو ومسائله فيما عدا الفرّاء في " معاني القرآن" وثعلب في مجالسه.

ما بعد الخاتمة:

تحت هذا العنوان أفصح الأستاذ السامرائي عن اسم الكاتب المعاصر الذي هاجمه وكان الدافع والمحفز له لكتابة هذا الكتاب ،وهو زميله الدكتور مهدي المخزومي الذي جمعهما عمل سابق وهو تحقيق كتاب" **العين**" للخليل بن أحمد الفراهيدي، والذي لم يصرح باسمه في المقدمة وفي فصول الكتاب وإن كان يكنى عنه بعبارة " صاحب مدرسة الكوفة"[1].

[1]- ينظر، المصدر السابق، ص 159.

الفصل الثاني

دراسة مقارنة لأهم آراء السامرائي مع آراء بعض اللغويين المعاصرين

تمهيد :

لقد أظهر لنا التلخيص الذي أثبتناه لكتاب "المدارس النحوية أسطورة وواقع" للأستاذ إبراهيم السامرائي في الفصل الأول جملة من المسائل الهامة أردنا إبرازها وعرض أدلة الأستاذ بشأنها ومقارنة كل ذلك بآراء بعض اللغويين المعاصرين ممن كتب في "المدارس النحوية" ومعظمهم سبقه في الكتابة في المدارس وهذه المسائل هي :

1. مصطلح مدرسة ومدى مصداقيته ودقته في التعبير عما ورد في تراثنا النحوي القديم.
2. دواعي وأسباب وضع النحو.
3. حقيقة وجود المدرسة النحوية الكوفية أو المذهب النحوي الكوفي.
4. عدد المدارس النحوية.

1- المسألة الأولى : مصطلح "مدرسة" ومدى مصداقيته ودقته :

يذهب الأستاذ السامرائي إلى أنه لا يوجد في تراثنا العربي مصطلح "مدرسة" ويقصد به ما يشبه الإطلاق الغربي على مذاهب الفكر والفن والأدب كالرومنسية والرمزية والطبيعية، وإنما الذي يوجد هو مجموعة من المؤسسات العلمية التي عرفت في تاريخنا العربي، التي كانت تضطلع بتدريس علوم الدين واللغة في حواضر العالم الإسلامي في بلاد الشام ومصر كالمدرسة "النظامية" وغيرها.

قال الأستاذ : "لقد حلا للدارسين في عصرنا كلمة "مدرسة" فذهبوا بها مذهبا قد لا يرضِ العلم، إن هذه الكلمة قد عرفناها كلمة تاريخية استعملها المسلمون في عصور حضارتهم فكان من ذلك "المدرسة النظامية" في بغداد، فالمدارس "النظامية" في أمصار الأخرى والمدرسة "المستنصرية" ومدارس بلاد الشام والمدارس الأخرى في سائر البلاد الإسلامية، وهذه المدارس مدارس حقيقية ينتسب إليها طلاب العلم، فيدرسون العلوم المختلفة، ثم جاء العصر الحديث فصار العرب يتطلعون إلى ما عند الغربيين من علوم ومعارف وقد وجدوا الغربيين تجاوزوا في استعمال المدرسة المألوف والمعروف فكانت لديهم مثلا "المدرسة الكلاسيكية "في الأدب والفن، والمدرسة "الرومانتيكية"، والمدرسة الرمزية "و"المدرسة الطبيعية" وغير ذلك، وتعني هذه المدارس الغربية ما نعنيه نحن في كلمة "مذاهب"

كمذاهب الفقه الإسلامي المعروفة ... ومثل هذا مدارس الغربيين في الأدب والفن التي أشرنا إليها، فهي مذاهب خاصة لها قواعدها وأصولها وأسسها الخاصة التي تختلف كل الإختلاف في أي منها عن الأخرى، وقد استعاروا لهذه المذاهب كلمة "School" الإنجليزية، أو "Ecole" الفرنسية أو نظائرهما، في سائر اللغات الغربية ... نظر أصحابنا إلى الموروث من علم النحو و اختلاف الأوائل في شيء يسير منه يمس الفروع ولا يقرب من الأصول، فأخذوا بالسعي نحو المعاصرة فأخذوا المدارس لتؤدي ما شاع لدى الأوائل من استعمال "مذاهب" أو طرائق، وكان من ذلك مدرسة البصرة، ومدرسة الكوفة، ومدرسة بغداد ...".[1]

رأي الأستاذة : خديجة الحديثي في مصطلح "مدرسة" :

رأت الأستاذة خديجة الحديثي أن الباحث في النحو العربي، تواجهه عبارات "المدارس النحوية" أو "المذاهب النحوية"، أو "مدرسة البصرة"، أو "مدرسة الكوفة" أو "مدرسة بغداد" أو "مدرسة مصر" أو "مدرسة الأندلس النحوية" ...

ورأت أنه من الضروري أن تتعرض لكلمة "مدرسة" أو "مذهب" لمعرفة مدلولها عند القدماء والمحدثين، لتوضيح سبب هذا التعدد في المصطلحات لمعرفة ما يصح أن يستعمل منها وما لا يصح.[2]

وقد قامت الأستاذة ببحث عميق وشامل في كتب التاريخ والطبقات وكتب المعاصرين لرصد استعمال مصطلح أو مذهب نلخصه في ما يلي :

- ذهبت الأستاذة إلى أن أول من قدم تراجم للنحاة واللغوين هو محمد بن سلام الجمحي (139-231) هـ ، فذكر أهل البصرة، فترجم لأبي الأسود ويحيى بن يعمر وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وأبي عمرو وبن علاء، و انتهى بالخليل بن أحمد الفراهيدي ولم ينسبهم إلى مدرسة، وإنما عدهم من أهل البصرة فقط.[3]

[1]- المدارس النحوية اسطورة وواقع، ص: (139-140).

[2]- ينظر خديجة الحديثي، المدارس النحوية، دار الامل، أربد-الاردن، ط3، 1422هـ، 2001، ص07.

[3]- المرجع نفسه، ص10.

- وكذلك فعل عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (213-276) هـ، إذ ترجم هو الآخر لمعظم من اشتهر من النحويين واللغويين من أهل البصرة والكوفة، ولم يسمهم بمذهب أو مدرسة، بل لم يسم أحدا من أهل البصرة، ولا من أهل الكوفة المشهورين، عدا من لم يكن معروفا من الكوفيين فقال عن بعضهم إنه كوفي.
- وجاء بعدهما أبو الطيب اللغوي (351) هـ في كتابه " مراتب النحويين " و انتهج في ترتيبهم وتصنيفهم حسب الزمن فبدأ بالبصريين لأن النحو بدأ بصريا، وأول إشارة منه إلى الكوفة عند ترجمته لأبي جعفر الرّؤاسي ... وبعد الانتهاء من ذكر البصريين والكوفيين قال : ولا علم للعرب إلا في هاتين المدينتين.[1]
- ثم ألف أبو سعيد السيرافي (284-368) هـ كتاب أخبار النحويين البصريين واقتصر فيه على نحاة البصرة وسماهم "البصريين" أو "من أهل البصرة".
- و جاء محمد بن حسن الزبيدي (379) هـ فكان أول من رتب كتابه ترتيبا واضحا حسب هذه المجموعات النحوية المعروفة، و اتبع فيه النسبة إلى البلدان التي وجد فيها هؤلاء النحاة، ولم يسمهم بمدارسهم أو مذاهبهم، وإنما صنفهم إلى خمسة أصناف ضم كل صنف نحويين ولغويين، وقسم كل صنف من هذه الأصناف إلى طبقات حسب التقدم الزمني، فكانت "البصريين" و"الكوفين" و"المصريين و"القرويين" و"الأندلسيين"، ولم يفرد البغداديين بصنف خاص بهم، ولم يكن يسمي البصريين "مدرسة البصرة" ولا الكوفيين "مدرسة الكوفة" ولا نسبهم إلى مذهبهم النحوي، إلا عندما ترجم لأصحاب ثعلب، استعمل لأول مرة كلمة مذهب فقال عن أبي موسى الحامض، كان بارعا في اللغة والنحو على مذهب الكوفيين، وقال عن ابن كيسان، وكان بصريا كوفيا يحفظ القولين ويعرف المذهبين.
- ثم جاء المرزباني (384) هـ الذي قسم النحاة تقسيما اعتمد فيه على البلدان، إلا أنه قسمهم إلى ثلاث مجموعات الأولى لأهل البصرة والثانية لعلماء ولغويي وقرّاء الكوفة،

[1]- المرجع السابق، ص10.

والمجموعة الثالثة سماها "أخبار العلماء والرواة من أهل بغداد"، ولم يذكر هو الآخر كلمة "مدرسة" أو "مذهب"، وإنما استعمل عبارات : نحو الكوفيين، وعلماء البصرة، وأهل بغداد.

- أما ابن النديم (385) هـ فقد اتبع التقسيم نفسه إلا أنه سمى المذهبين، وقسم كتابه إلى مقالات وجعل المقالة الثانية في ثلاثة فنون :

- **الفن الأول** : في ابتداء الكلام في النحو وأخبار النحويين واللّغويين من البصريين وفصحاء الأعراب وأسماء كتبهم.
- **الفن الثاني** : في أخبار العلماء ويحتوي هذا الفن على أخبار النحويين واللغويين الكوفيين.
- **الفن الثالث** : في أخبار العلماء وأسماء ما صنفوه من الكتب وقد جعله في ثلاثة أقسام ذكر منها :

- أسماء جماعة من علماء النحويين واللغوين ممن خلطوا المذهبين.
- وتستخلص الأستاذة الحديثي أن ابن النديم هو ثاني من استعمل كلمة المذهبين في تقسيمه للفنون.

وختمت الأستاذة جولتها في كتب التراث النحوي والطبقات والتراجم القديمة بأبي البركات بن الأنباري تـ (577) هـ والقفطي تـ (646) هـ مكتفية بذلك على أساس أن كل من جاء بعدهما من المؤرخين اتبع إحدى طريقتيهما.

- أما ابن الأنباري فقد اعتمد في كتابه "نزهة الألباء في طبقات الأدباء" التسلسل الزمني بغض النظر عن كون المترجم له لغويا أو نحويا، أو أديبا بصريا أو كوفيا أو بغداديا، ولم يكن يشير في تراجم النحاة أنهم كانوا بصريين أو كوفيين إلا في القليل النادر، و اتبع في الغالب طريقة أنه ينص على متأخري الكوفيين بقوله : "من نحاة الكوفيين" ولم يذكر كلمة مذهب إلا مع البغداديين، كقوله عن بعضهم : "وكان يخلط المذهبين" ولم يذكر كلمة مذهب مع الكوفيين إلا قليلا.

- أما القفطي في "إنباه الرواة إلى أنباه "النحاة" فقد اتبع منهجية الترتيب الهجائي للنحاة، وكان ينص خلال الترجمة أن : "فلانا من أهل البصرة" أو "بغدادي" أو "نزيل مصر"، أو دمشقي الدار، أو من أهل قرطبة، أو معدود من نحاة الكوفة إلى غير ذلك من العبارات.

و تستنتج بعد هذه السياحة العلمية، في كتب التاريخ والطبقات القديمة ما يلي :

"ويتضح من هذا العرض لمناهج الذين أرخوا للنحو والنحاة، أنهم لم يستعملوا كلمة مدرسة في تصنيفهم لهذه المجموعات النحوية، وإنما اتبعوا في ترتيبهم نسبتهم إلى البلد الذي ظهروا فيه وتعلموا نحوه ودرسوه ودرّسوه، فهم "بصريون" أو "كوفيون" و"أهل بغداد" و"مصريون"، و"أندلسيون"، ومن "أهل قرطبة"، ومن "أهل دمشق" ولم يستخدموا كلمة "مذهب" في التقسيم إلا ابن النديم.[1]

- ثم شرعت الأستاذة في تتبع ذكر كلمة "مدرسة" في استعمالات بعض اللغويين المعاصرين أو المستشرقين المختصين في الدراسات اللّغوية.

فذكرت أن من أوائل من استعمل كلمة "مدرسة" هو كارل بروكلمان وذلك في قوله: "وقسم علماء العربية مذاهب النحاة إلى ثلاث مدارس : البصريون والكوفيون، ومن مزجوا المذهبين من علماء بغداد".

ويبدوا أنه عنى بمدرسة مجموعة النحاة الذين ينتمون إلى بيئة نحوية واحدة، وقد تبع بروكلمان في ذلك "جوتولد فايد" الذي استعمل مصطلحي: "المدرسة البصرية" و"المدرسة الكوفية".

- واستعمل المحدثون الكلمة نفسها، ولعل الأستاذ مهدي المخزومي أول من تبنى هذه التسمية فسمى أحد كتبه "مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللّغة والنحو"، وألف شوقي ضيف كتابا سماه "المدارس النحوية"، وألف عبد الرحمن السيد "مدرسة البصرة النحوية" وظلت كلمة مدرسة تعني مجموعة من النحاة الذين كونوا درسا نحويا في بيئة معينة سواء أضمهم

[1]- انظر المرجع السابق، ص 12-13.

منهج موحد خاص بهم له أسسه وأصوله وقواعده المعروفة المستقلة، أم كان مبنيا على منهج من سبقهم إلا أنهم استقروا في بيئة أخرى وتأثروا بظروف البيئة الجديدة بعض التأثير".[1]

- **موقف الأستاذ أحمد مختار عمر :**

من الأساتذة الذين تناولوا هذه القضية الأستاذ اللغوي المجمعي الدكتور أحمد مختار عمر، فقد عقد مبحثا في كتابه "البحث اللّغوي لدى العرب"، لدراسة هذه المسألة عنونه العنوان التالي: هل وجدت مدارس نحوية عند العرب" ؟ واقترح لمعالجة المسألة منهجية تتكون من العناصر التالية :

1. ماذا نفهم من مصطلح مدرسة نحوية ؟.

2. ماهو الأساس الذي تبنى عليه تقسيم الدراسة النحوية إلى مدارس ؟

3. عدد هذه المدارس حتى نهاية القرن الرابع الهجري.

فعن النقطة الأولى عرّف المدرسة بقوله : ... هذا المصطلح يعني في نظرنا وجود جماعة من النحاة، يصل بينهم رباط من وحدة الفكر والمنهج في دراسة النحو، ولا بد أن يكون هذا الرائد الذي يرسم الخطة ويحدد المنهج، والتابعون أو المريدون الذين يقتفون خطاه ويتبنون منهجه، ويعملون على تطويره والدفاع عنه، فاستمرار النظرية أو دوامها، عبر السنين شرط أساسي لتكون المدرسة التي لا يمكن أن تستحق هذا الإسم، أو يعترف بوجودها بمجرد مولد النظرية أو خلقها، حتى تعيش ويكتب لها البقاء لبعض الوقت بين المريدين".[2]

ويبدو هذا التعريف للمدرسة شبيها إلى حد كبير بتعريف الأستاذ مهدي المخزومي لها إذ يقول : "وليست المدرسة إلا أستاذا مؤثرا وتلاميذ متأثرين قد اجتمعوا على تحقيق غرض واحد ونهجوا في الوصول إليه منهجا واحدا".[3]

---

[1]- ينظر المرجع السابق، ص13.

[2]- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، عالم الكتب، القاهرة، ط6، 1988هـ، ص128.

[3]- مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة النحو واللغة،ص106.

- وبالنسبة للنقطة الثانية التي اقترحها الأستاذ أحمد مختار عمر في الإجابة على السؤال وهي الأساس الذي روعي في تقسيم الدراسة النحوية إلى مدارس، فقد لاحظ الأستاذ أن المعيار الجغرافي كان الأساس الوحيد للتقسيم، ونفى وجود أي إشارة إلى مدرسة أطلق عليها هذا الاسم لالتفاف أتباعها حول رائد معين فحملت اسمه إلى أجل، وقد ذكر أن هذا المعيار قد عجز تماما عن إبراز الفروق الحقيقية والاتجاهات الفكرية المختلفة لهذه المدارس كما عجز عن تجميع الخصائص المشتركة الموحدة، وقد قدم الأستاذ جملة من الدلائل إيرادها مفصلة يثقل كاهل البحث، تكتفي فيها بقوله أن هناك مسائل كثيرة خالف فيها أئمة بصريون بصريين آخرين، كما لاحظ أن اقصى هجوم تعرض له سيبوية كان على يد المبرد وهو ينتمي إلى المدرسة نفسها واستنتج بعد إيراده عدة مسائل خلافية نحوية فشل المعيار الجغرافي في التفريق بين المدرستين.
- وعلى الرغم من نقد الأستاذ للمعيار الجغرافي فقد اضطر لقبوله مع شيء من التحفظ لأنه على جانب وجود الاختلافات النحوية بين أفراد المدرسة الواحدة يوجد كذلك خطوط واتجاهات مشتركة تجمع بينهم، ولكنه يرى أن النقد الخطير الذي يمكن أن يوجه إلى هذا المعيار هو احتمال الانحراف في تطبيقه".[1]

2- المسألة الثانية : للأستاذ السامرائي دواعي وأسباب وضع النحو

ذهب الأستاذ إبراهيم السامرائي إلى أن شيوع اللحن في العربية بعد انتشار الإسلام والفتوحات الإسلامية ليس هو السبب الوحيد لوضع النحو، مخالفا بذلك عددا من اللّغويين القدامى والمحدثين، الذين إن لم يحصروا سبب وضع النحو في شيوع النحو فإنهم جعلوه السبب الأهم، وقد قدم الأستاذ بين يدي كلامه جملة من الأدلة العقلية والتاريخية.

ومن الأدلة العقلية أنه لو كان اللحن سببا لوضع العلم الذي يسمى نحوا لما كان لنا هذا البناء الشامخ، ولكان لنا منه ضوابط يسيرة تعين على إزالة العيب وسد الخلل، ولكان لنا نحو يسير يلتزم

[1]- ينظر البحث اللغوي عند العرب مع دراسة قضية التأثير والتأثر، ص132-133.

به المعربون ويأخذون به، ويعبر الأستاذ عن هذه الفكرة بقوله: "لو كان شيئ من هذا لوجدنا بين أيدينا أشياء قليلة مما يمكن أن تحمل على أنها ضوابط تفي بالغرض التعليمي، ... ويواصل حتى يصل إلى هذه الفقرة " أنقول أن النحو الذي قصد منه أن يكون ضوابط تقوم بها الألسنة قد نسي فلم يصل إلينا منه شيئ ؟ إذا كان هذا فكيف تحول إلى علم له " أصوله ومناهجه".[1]

ويفترض الأستاذ أن النحو كان ينبغي أن يكون على هذا النحو الواسع الذي نعرفه ولم يكن قد ظهر النحو وشاع، لأنه ظهر في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة، وهي الحقبة ذاتها التي بدأت فيها المعارف العربية والإسلامية تنشأ، حتى إذا كان القرن الثالث والرابع كان لنا علم لغوي باسق شامخ ينقسم إلى فروع علمية كثيرة شأنه شأن سائر المعارف الأخرى.[2]

والأستاذ هنا استعان في إثبات افتراضه بتاريخ تطور العلوم العربية الإسلامية في الحضارة الإسلامية.

- والدليل الثاني للأستاذ يستنبطه مما عند الأمم الأخرى، فقد كان لهم جميعا نحو مثل ما كان للعرب، وظهرت هذه العلوم ومنه النحو، عند الأمم كلما كان لديها تطلع إلى المعرفة وليس للأمر ارتباط فقط باللحن.

فماذا يقول المختصون من اللّغويين في أصول النحو في الدواعي التي أدت إلى ظهور النحو ؟.

قبل الإجابة التفصيلية عن هذا السؤال نشير إلى القول بأحادية العامل أو الدافع لظهور النحو –وهو اللحن– لم يكن رأي جمهور الكاتبين في "أصول النحو" عموما أو "المدارس النحوية" على وجه الخصوص.

- فالأستاذ شوقي ضيف يرى أن هناك أكثر من سبب أدى إلى ظهور النحو، وأن شيوع اللحن إنما هو عامل مندرج في عامل أكبر منه هو العامل الديني قال: "يمكن أن نرد أسباب وضع النحو، إلى بواعث مختلفة، منها الديني ومنها غير الديني، أما البواعث الدينية فترجع

[1]– ينظر المدارس النحوية اسطورة وواقع، ص (9-13).

[2]– ينظر المصدر نفسه، ص11.

إلى الحرص الشديد على أداء نصوص الذكر الحكيم أداءا فصيحا سليما إلى أبعد حدود السلامة والفصاحة وخاصة بعد أن أخذ اللحن يشيع على الألسنة".[1]

- ويضيف الأستاذ باعثين آخرين قومي، واجتماعي، فأما الباعث أو السبب القومي فيشرحه قائلا : "ويرجع إلى أن العرب يعتزون بلغتهم اعتزازا شديدا وهو اعتزاز جعلهم يخشون عليها من الفساد حين امتزجوا بالأعاجم مما جعلهم يحرصون على رسم أوضاعها خوفا عليها من الفناء والذوبان في اللغات الأعجمية".[2]
- أما العامل الاجتماعي فيتعلق بالشعوب المستعربة التي أحست بالحاجة الشديدة لمن يرسم لها أوضاع العربية في إعرابها وتصريفها، حتى تتمثلها تمثلا مستقيما.[3]
- و انضم إلى هذه الأسباب والبواعث باعث يمكن أن نصنفه بأنه عقلي معرفي وإن كان الأستاذ لم يفصح عنه بهذا التعبير، ولكنه اكتفى بالقول : "ولابد أن نضيف إلى ذلك رقي العقل العربي ونمو طاقته الذهنية نموا أعده للنهوض برصد الظواهر اللغوية وتسجيل الرسوم النحوية تسجيلا تطرد فيه القواعد، وتنتظم فيه الأقيسة انتظاما يهيئ لنشوء علم النحو ووضع قوانينه الجامعة المشتقة من الاستقصاء الدقيق للعبارات والتراكيب الفصيحة، ومن المعرفة التامة بخواصها وأوضاعها الإعرابية".[4]
- وفي نفس السياق تذهب الأستاذة خديجة الحديثي، فتثبت أكثر من دافع لنشأة النحو فتذكر العامل الديني الذي يترجم بخشية المسلمين على كتابهم أن يصيبه اللحن في قراءته أو التصحيف في أحرفه فيؤدي ذلك إلى تحريف آياته، وتغيير المفهوم منها وبذلك تتغير الأحكام المأخوذة منه والمبنية عليه".[5]

---

[1]- شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط7، ص11.

[2]- نفسه، ص12.

[3]- نفسه، ص 12.

[4]- نفسه، ص: (12-13).

[5]- خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص50.

- وتذكر الدافع الاجتماعي وتشرحه شرحا تقترب به من انتشار اللحن وانحراف اللغة الفصحى ثم تستدرك في الأخير قائلة : "وكان لرغبة الداخلين في الإسلام في تعليم اللغة العربية لغة القرآن والعبادات الدينية ولغة الدولة الحاكمة ليصلحوا بها أمور دينهم وليستطيعوا مشاركة العرب في إدارة شؤون الدولة، وفي الأمور الثقافية أثر كبير في أن يعمل الجميع جاهدين على وضع هذه العلوم ووضع الضوابط والأسس والقواعد والأصول واستعمال الجميع لها".[1]

- أما الأستاذ تمام حسان فبدوره ذهب إلى القول بتعدد العوامل في نشأة النحو فيذكر بدوره العامل الديني والعامل القومي والعامل السياسي، ولما كان العامل الديني مفهوما لا نكرره ونذكر العاملين الآخرين، فهو شرح العامل القومي بشكل يختلف عما شرحه شوقي ضيف فيقول بأن العرب وجدوا أنفسهم في مواجهة الثقافة الساسانية واليونانية والرومانية والهندية بل واليهودية، العراق ومصر والشام والبلاد التي فتحوها وكان العرب أمام خيارين، إما أن يكونوا أصحاب رسالة لا تستند إلى ثقافة فيقفوا بكل ما يمثلون من رسالة الإسلام التي ترمي إلى إخراج الناس من الظلمات إلى النور موقف التلاميذ من أمم خضعت لهم، وهذا موقف أقل ما يوصف به التناقض وتعريض الإسلام نفسه للأفكار الأجنبية، وإما أن يسلكوا الطريق التي تليق بأمة قائدة فيسعون جاهدين إلى إنشاء ثقافة قومية يجعلون بها رسالة الإسلام مقبولة لدى المغلوبين المثقفين، ومن هنا يصبح ليس المحافظة على نص القرآن كما هو العامل الديني، بل يكون القرآن محور الجهد الثقافي العربي من ألفه إلى يائه، ومن ثم لا يعود الأمر أمر النحو فقط ولا فقه اللغة مع النحو، بل أمر ما اصطلحنا من بعد على تسميته بالثقافة الإسلامية جملة وتفصيلا.[2]

---

[1] - المرجع السابق، ص15.

[2] - ينظر تمام حسان، الأصول دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو، فقه اللغة، البلاغة، عالم الكتب، القاهرة، 1420هـ، 2000م، ص (25-26).

- **العامل الثالث** : هو العامل السياسي ويكاد تمام حسان ينفرد به من بين الكاتمين في نشأة النحو، فيما أعلم- فهو يرى أن هذا العامل يأتي في الترتيب بعد العاملين السابقين حيث يرى أنه بعد انقضاء عهد الخلفاء الراشدين لجأ الأمويون بالسياسة إلى التفرقة بين القبائل بالعصبية، وفرقوا بين المسلمين، وبحسب الأعراق فأنقسم الناس إلى عربي ومولى، فأما العربي فعلى لسانه لغة القرآن ولغة الدولة، وهي عدة في يد للتفوق والتسلط، في حين أن الموالي لم تكن لديهم حظوة ولا مناصب عليا في الدولة، ولعل اللغة كانت الحاجز الأول الذي كان يحول بينهم وبين المناصب الرفيعة، ويرى الأستاذ أنه لم يكد جيل أبي الأسود وأصحابه ينفضون أيديهم من بعض التصنيفات النحوية الأولية كأقسام الكلم، وعلامات الإعراب حتى انتزع الموالي الراية النحوية من أيدي العرب، فكانت جمهرة النحاة منهم، ونشأ النحو على أيديهم وصنع على عينهم، فلا ترى بعد الطبقة الأولى نحاة عربا إلا قلة لا تكاد تذكر كأبي عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد وأبي عثمان المازني وعددا قليلا يعد على الأصابع، وسرعان ما تحول النحو العربي من منهج علمي إلى منهج تعليمي، وقد استطاع الموالي في نهاية العهد الأموي أن يشاركوا في الحياة العامة في العراق، حتى إذا قامت الدولة العباسية على أكتافهم استأثروا بالمكان الأول فيها، لأن لغة الدين والدولة قد أصبحت ملكه عندهم فلم يقم الجهل بها حاجزا بينهم وبين السلطة، لم تؤد السياسة إذا إلى رفع شأن الدراسة النحوية فحسب بل أدت إلى ازدهارها وإخضاعها للتطبيق والانحراف بها إلى الطابع التعليمي".[1]

- أما الأساتذة الذين رأوا أن فشو اللحن وانتشاره كان هو العامل الحاسم والوحيد في دفع الدراسة النحوية إلى الأمام فهم قلة من أشهرهم سعيد الأنغاني وأحمد مختار عمر.

- فيرى الأول "أن اللحن كان الباعث الأول على تدوين اللغة وجمعها وعلى استنباط قواعد النحو وتصنيفها، وقد كانت حوادثه المتتابعة نذير الخطر الذي هب على صوته أولو الغيرة

[1]- ينظر المرجع السابق، ص (27-28).

على العربية والإسلام"،[1] ويفيض في ذكر روايات حوادث اللحن ويتتبعها من عهد الخلفاء الراشدين إلى عهد خلفاء بني أمية مما يوحي باعتباره اللحن هو العامل الحاسم في ظهور النحو.

- أما الأستاذ أحمد مختار عمر فذهب الرأي ذاته، فبعد أن ذكر بعض روايات المؤرخين التي تتعلق بسبب وضع النحو من أبي الأسود الدؤلي يستخلص قائلا : "وقد تبين من هذا أن السبب الأساسي في وضع النحو مهما كان واضعه-ما نشأ من لحن عقب الفتوحات الإسلامية وامتداد آفاق اللغة العربية إلى مجالات لم تتح لها من قبل وفساد الألسنة حتى بالنسبة للعرب أنفسهم نتيجة اختلاطهم بالأجانب".[2]

- من خلال هذا العرض المفصل لآراء اللغويين المعاصرين المفسرة لسبب ظهور النحو العربي يترجح أن القول بالعامل الوحيد-وهو اللحن- سببا دافعا إلى ظهور اللحن ليس هو رأي الأغلبية وبهذا يتضح أن ما ذهب إليه السامرائي صحيح في الجملة وإن لم يذهب في التفصيل مثلما ذهب تمام حسان وشوقي ضيف وغيرهما.

3- المسألة الثالثة للأستاذ إبراهيم السامرائي : وهي إنكار وجود مدرستين نحويتين وإنكار ما يسمى المدرسة الكوفية أو المذهب الكوفي في النحو.

بنى الأستاذ رأيه هذا على جملة من الأدلة والحجج أهمها :

أ- طبيعة الاختلافات النحوية بين البصريين والكوفيين.

ب- طبيعة المادة النحوية التي تركها الكوفيون.

ج- المصطلح النحوي الكوفي ومدى نجاعته ودقته.

د- العلماء المنسوبون إلى المذهب الكوفي.

أ- الدليل الأول للأستاذ : يرى الأستاذ أن الخلافات النحوية المنقولة عن البصريين والكوفيين ليست اختلافات جوهرية تمس جوهر المسائل، وإنما هي خلافات في الفروع والجزئيات تشبه

[1]- سعيد الافغاني، من تاريخ النحو، دار الفكر، د ت ط، ص08.

[2]- البحث اللغوي عند العرب، ص: (85-86).

الاختلافات التي بين البصريين والبصريين والكوفيين و الكوفيين ومن فروع هذا الدليل قوله بأن علم الفريقين قد تداخل فوافق البصريون الكوفيين في مسائل ووافق الكوفيون البصريين في مسائل وذكر أمثلة عنها.

يقول الأستاذ باسطا فكرته : "... غير أنك حين تنظر في التراث النحوي وهو مادة البحث لا تجد أن جمهرة النحاة بصريين وكوفيين قد اختلفوا في أصول هذا العلم ولم ينطلق هؤلاء من أفكار متعارضة، ولكنهم اختلفوا في مسائل فرعية تتصل بالتعليل والتأويل فكان لهؤلاء طريقة أو مذهب ولأولئك طريقة أو مذهب آخر، وقد يكون الاختلاف بين بصري وبصري كما قد يكون بين كوفي وكوفي آخر، ولا تعدم أن تجد بصريا قد وافق الكوفيين وذلك العكس، ومن المفيد أن أقول أن كلمة مذهب وردت على الخلاف النحوي فقالوا مذهب البصريين كما قالوا مذهب الكوفيين ومذهب البغداديين ومذهب غيرهم، وقد تكون كلمة مذهب قد أطلقت على الطريقة التي سار عليها أحد النحاة كما قالوا مذهب سيبويه ومذهب الأخفش والفراء، وسنعرض هذا لنبين أن المذهب هو الطريقة وهو أبعد ما يكون عن المدرسة".[1]

- قالت الأستاذة خديجة الحديثي بصدد هذه المسألة : "فالنحو الكوفي إنما اعتمد في وجوده على النحو البصري ورافقه في أصول منهجه وفي أغلب الفروع، وقال الكوفيون بمعظم ما قال به البصريون من آراء وما خالفوهم فيه إنما هو آراء جزئية ومسائل فرعية خرجوا بها لتفسيرهم إياها تفسيرات جديدة أو سماعهم فيها أدلة وشواهد جديدة لم يسمعها البصريون".[2]

وهذا القول الذي قالته الأستاذة الحديثي قال به أيضا شوقي ضيف قبلها فقد ذكر في معرض كلامه عن مدرسة الكوفة :"وينبغي أن يستقر في الأذهان أن المدرسة الكوفية لا تباين المدرسة البصرية في الأركان التي ظلت إلى اليوم راسخة في النحو العربي غير أنها مع اعتمادها لتلك الأركان استطاعت أن تشتق لنفسها مذهبا نحويا جديدا له طوابعه وله أسسه ومبادؤه".[3]

---

[1]- المدارس النحوية ، أسطورة وواقع، ص: (12-13).

[2]- المدارس النحوية، خديجة الحديثي، ص15.

[3]- شوقي ضيف، المدارس النحوية، ، ص158.

- نلاحظ من هذا التتبع أن الأستاذ شوقي ضيف والأستاذة الحديثي قد اتفق قولهما مع رأي الأستاذ السامرائي حول طبيعة الخلاف بين البصريين والكوفيين وأنه لم يمس الأصول وإنما كان في الفروع والجزئيات ولكنهما لم يوافقاه على استنتاجه العنيف القاضي بإنكار مدرسة نحوية كوفية أو مذهب كوفي.

ب– الدليل الثاني للأستاذ السامرائي : المتعلق بطبيعة المادة النحوية التي تركها الكوفيون :

يرى الأستاذ السامرائي أن التراث النحوي المأثور عن الكوفيين لا يكفي لكي تبني عليه مدرسة نحوية، فهو غير شامل ولا مستوعب لكل مسائل النحو، فلا يوجد للكوفيين "كتاب إمام" يكون بمثابة الأساس لنحوهم، ولم يؤثر عن علمائهم أنهم ألفوا كتبا شاملة في النحو وإنما هي أقوال منشورة في كتب النحو المختلفة تحكي آراء علمائهم كالكسائي وغيره باستثناء الفراء وثعلب فآراؤهما متضمنة في "معاني القرآن" بالنسبة للأول، و"مجالس ثعلب" بالنسبة للثاني، وليست مادة الكتابين نحوا خالصا، بل نحو ولغة وتفسير.

يقول في هذا المعنى : "وهل في طوقنا أن نجد نحوا للكوفيين كاملا شاملا يستوني مراد هذه العربية ؟ الذي أعرفه أننا لا نملك من مصادر النحو الكوفي إلا كتابا واحدا هو "معاني القرآن" للفراء، وكتاب "معاني القرآن" للفراء يفصح عن موضوعه ومادته، فهو معان للقرآن وشرح لما ورد في لغة القرآن من دلالات خاصة ،على نحو ما عرفنا من "معاني القرآن" للزجاج وما عرفنا من "معاني للقرآن" للأخفش وغيرهما من كتب معاني القران، وهذه الكتب لا تختلف كثيرا عن كتب أخرى هي "مجاز القرآن" لأبي عبيدة، و"تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة وغيرهما، اللهم إلا ما جاء في "معاني القرآن" للفراء من آراء نحوية بعضها يؤيد ما ذهب إليه البصريون وبعضها يختلف لاختلاف النظر والتوجيه ...

ولا نملك من مصادر النحو الكوفي مصدرا وافيا على غرار "الكتابِ" لسيبويه و"المقتضبِ" والأصول "لابن السراج"، ذلك أن هذه المصادر تشتمل على أبواب كثيرة في النحو والصرف وهي كتب مطولة تشتميل على الأصول والفروع، وليس شيئ من هذا يشتمل على نحو الكوفيين".[1]

- وهذا الذي قاله الأستاذ السامرائي أمر معروف ليس مختلقا، فقد ذهب الأستاذ التواتي بن التواتي، إلى مثل هذا الذي ذهب إليه السامرائي فقال : "إن المذهب البصري خرج من معركة تنظير النحو في القرن الثالث قوي البناء كثير الأنصار، كثير التأليف، وإنما كان ذلك كذلك لأن المذهب الكوفي مع صفاء جوهره ومتانة أسسه لم يجد من مؤسسيه ولا من تلاميذهم من يضع فيه كتابا مثل كتاب سيبوبه الذي كانت مباحث البصريين تدور حوله، أما الكوفيين فلم يترك رائدهم الكسائي كتابا في النحو، وكلما تركه "مختصر في النحو" للمبتدئين ذهب مع الأيام وكذلك الأمر بالنسبة للفراء لذ لم يصلنا مما صنفه إلا كتابه "معاني القرآن" وهو تفسير لغوي ضخم عني فيه بحل مشكلات القرآن اللغوية والإعرابية وتوجيهها توجها خاصا غير توجيه البصريين، ولم يجمع أحد من تلاميذ المدرسة الكوفية قواعد نحوهم في كتب خاصة مختصرة أو متوسطة أو مبسوطة فكان لكل ذلك أثر قوي في اختفاء معالم المذهب الكوفي الذي لم يعش أكثر من قرن ونصف في المشرق".[2]

من خلال هذا الاقتباس نلاحظ أن الأستاذ التواتي بن التواتي موافق للأستاذ السامرائي فيما ذهب إليه من رأي في طبيعة المادة النحوية الكوفية، ولكنه لم يكن صريح الرفض لها مثل الدكتور السامرائي، فقد فسح لها حيزا في كتابه مثلما فعل مع مدرسة البصرة وبقية المدارس، ولكن في الوقت ذاته وجه لها سهام النقد فقد قال بأن المدرسة الحقيقية التي يصح أن يطلق عليها مصطلح المدرسة أكاديميا هي مدرسة البصرة، وكذلك قوله بأن مدرسة الكوفة هي فرع لا من مدرسة البصرة بل من مدرسة أبي عمرو بن العلاء.

[1] – المدارس النحوية، أسطورة وواقع، ص143.

[2] – التواتي بن التواتي، المدارس النحوية، ، دار الوعي للنشر والتوزيع، 2008، ص: (104-105).

ج- الدليل الثالث للأستاذ المتعلق بالمصطلح الكوفي ونجاعته :

يرى السامرائي أن مما يستدل به المحتجون للمدرسة الكوفية تميزها بمصطلحات خاصة بها تختلف عن المصطلحات النحوية البصرية، فهو يرى أن المصطلح النحوي الكوفي ليس شاملا لمادة الدرس النحوي كله، ولا يفي بحاجة هذا الدرس، لتلبسه بمجموعة من العيوب من أهمها:

عدم اتفاق الكوفيين على كل المصطلحات الكوفية، فقد اختلفوا كثيرا بشأنها، ومنها أيضا ظاهرة التعدد المصطلحي، حيث يكون المصطلح الواحد عنوان لمفاهيم ومعان نحوية كثيرة، وإضافة إلى كل هذا لم تكن مصطلحاتهم حكرا عليهم فقد تبادل الفريقان استخدام بعض المصطلحات النحوية، فاستخدم كل فريق مصطلحات الآخر، ومما يقول في هذا الشأن : " لقد دل الدرس النحوي على أن مصطلح الكوفيين للمواد النحوية، مصطلح لا يتصف بالشمول والسعة، فهو شيء يتصل بمسائل عدة لا تفي بحاجة النحوي المتخصص وهذا يعني أن الكوفيين الأوائل إستعملوا الكثير مما انتهى إليهم من النحاة الأولين ممن يحسبون بصريين الحق وسنرى أن المصطلح الواحد عند الكوفيين قد يكون لمواد مختلفة، ثم إن مصطلحاتهم ليست شيئا يجهله البصريون، فقد نجد شيئا منه في إستعمال البصريين".[1]

ويقول في معرض انتقاده لمصطلح "الفعل" عند الكوفيين : "فأنت ترى الفعل" قد أطلق على ثلاث مواد هي الفعل والخبر والمفعول به الثاني، وإذا أضفنا إليه المصدر الذي هو الفعل في مصطلح اللغويين كان الفعل الأعلى أربع مواد وليس هذا عنصر قوة في المصطلح".[2]

- ويقول في موضع آخر : "الترجمة والتبيين والتكبير والتفسير والعبارة كل هذا يقابل مصطلح البدل عن البصريين، وهذا يؤكد ما قلناه من أن المصطلح الكوفي لا يفي بالقيمة الاصطلاحية فهو واسع متردد في كلمات عدة".[3]

[1]- المدارس النحوية، أسطورة وواقع، ص107.

[2]- نفس المصدر، ص124.

[3]- نفس المصدر، ص135.

- ناقشت الأستاذة خديجة الحديثي بإيجاز قضية المصطلح الكوفي فقالت : "و اتضح من خصائص نحوهم وضعهم مصطلحات خاصة ضمنوا فيها أبوابا من النحو عند البصريين، وأخرى وضع له البصريون لها مصطلحات إلا أن الكوفيين سموها بأسماء جديدة لا لسبب إلا ليثبتوا لنحوهم تسميات ومصطلحات خاصة يعرف بها، ويستقل عن النحو البصري، وإن كانت هذه التسميات في أغلبها مأخوذة من الكتاب لسيبويه".[1]

أشارت الأستاذة هنا إلى قضيتين الأولى مفادها أن الكوفيين لم يكن غرضهم من إنشاء مصطلحات خاصة بهم خالصا لوجه العلم وإنما كان يقصد التميز و الاستقلال والثانية أن تلك المصطلحات التي وضعوها ليست لهم أصلا وإنما اقتبسوها من الكتاب أي أن أصلها إما من الخليل أو سيبويه".

- وقد أشار الأستاذ شوقي ضيف إلى النقطة الأولى ذاتها التي أثارتها الأستاذة الحديثي وهو الخلاف لمجرد الخلاف قال : "... وليست بقية المصطلحات بأكثر من محاولات لمخالفة مدرسة البصرة في بعض مصطلحاتها، ولذلك رفضها نحاة العصور التالية فيما عدا اصطلاح النعت، وعطف النسق، ... والحق أنها مصطلحات أريد بها أو على الأقل بأكثرها إلى مجرد الخلاف على مدرسة البصرة ومما يدل على ذلك أوضح الدلالة ،موقف هؤلاء النحاة من ألقاب الإعراب والبناء التي وضعتها المدرسة البصرية، إذ ميزت بين حركات أواخر الكلمات المعربة والمبنية، فجعلت الرفع والنصب والجر والجزم للمعربة، وجعلت الضم والفتح والكسر، والوقف أو السكون للمبنية، وفكر الكوفيين طويلا هل يمكن أن يضعوا لهذه الألقاب أسماء جديدة ؟ حتى إذا أعياهم البحث لجئوا إلى قلبها فجعلوا ألقاب الإعراب للمبني من الكلمات وألقاب البناء للمعرب، وطبعا تلقى النحاة ومن حولهم ومن بعدهم ذلك بالرفض البات ..".[2]

لقد ركز الأستاذان الناقدان على الغاية لوضع المصطلحات أو معظمها لدى الكوفيين ولكنهما لم يركزا على تبيان مواطن الخلل في المصطلح الكوفي كما فعل الأستاذ السامرائي، من مثل التعدد

[1]- خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص143.

[2]- شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص: (167-168).

المصطلحي والاشتراك المصطلحي الذي ميز النحو الكوفي، وإلا فإن بعض مواطن الخلل التي أشار إليها السامرائي تظهر أيضا في أوائل كتب البصريين مثل ظاهرة التعدد المصطلحي فقد رصد الباحثون في مصطلحات الكتاب" هذه الظاهرة، فقد استعمل سيبويه الحرف المتحرك، والحرف الحي، واستعمل مصطلح الحذف ومصطلح الطرح، واستعمل "سوف" للتسويف وللتسويق، واستعمل الهمزة وعبر عنها أيضا بالألف .."."[1]

"الدليل الرابع للأستاذ السامرائي" : العلماء المنسوبين إلى المذهب الكوفي :

يرى الأستاذ أن العلماء المنسوبين في كتب الطبقات إلى المذهب الكوفي بصفتهم نحاة، وصفهم بهذه الصفة غير حقيقي أو مبالغ فيه، فالمذكورون أنهم نحاة الكوفة معظمهم غير مشهورين بالنحو باستثناء فئة قليلة استثنائها كالكسائي والفراء وثعلب وهشام الضرير، وإنما هم لغويين وأصحاب رواية.

يقول شارحا هذه الفكرة : "على أن عامة الكوفيين ما عدا الكسائي والفراء وثعلب لغويون، ونستطيع أن نعد جملة الكوفيين مبتدئين بالكسائي ثم الفراء وتلاميذهما فهم أهل لغة وهم : ابن الأعرابي والقاسم بن معن، واللحياني، وهشام بن معاوية الضرير، وعلي بن المبارك الأحمر، وأبو مسحل والفراء، وثعلب وابن السكيت ومحمد بن قادم ومحمد بن سعدان وسلمة بن عاصم والحامض وابن كيسان ونفطويه وأبو بكر بن الأنباري، والأخفش الصغير، وإذا استثنينا الكسائي والفراء وثعلب ففي طوقنا أن نقرر أن سائر هؤلاء عرفوا باللغة غريبها ونوادرها والأخبار وأيام العرب وصنعة الشعر وجمع الدواوين ..."."[2]

- وقد قال الأستاذ شوقي ضيف جملا مختصرة عن تلاميذ الكسائي وثعلب يمكن أن نفهمهما في ضوء ملاحظة الأستاذ السامرائي قال : "على كل حال ليس بين من سميناهم من تلاميذ

[1] – ينظر،جمال محمد سعيد حمد، إختلاف المدارس النحوية وأثره في تعداد النحو ، مخطوط رسالة دكتوراه قدمت إلى كلية التربية، قسم اللغة العربية بجامعة الخرطوم، 1422هـ/2006هـ، ص138.

[2] – المدارس النحوية أسطورة وواقع، ص: (57-58).

الكسائي من يمكن أن يقال عنه أنه نمى النحو الكوفي، وكأن هؤلاء التلاميذ تركوا المهمة لعلمين هما: الفراء وهشام بن معاوية الضرير ...[1]

ويذكر تلاميذ ثعلب وهم: أبو موسى الحامض، وأبو عمرو الزاهد، وأبو بكر بن الحسن العطار المقرئ، فيقول: "وكل هؤلاء التلاميذ لا تدور لهم آراء في كتب النحو، وكأنما كانوا امتداد لمباحث ثعلب اللغوية، وقد اتسع بها ابن المقسم في الاحتجاج للقراءات السبعة، وكان يقصر عليها (أي القراءات) نشاطه، وربما كان أنبه تلاميذ ثعلب في المباحث النحوية أبو بكر بن الأنباري".[2]

نلاحظ أن كلام الأستاذ شوقي ضيف لم يخرج عن رأي السامرائي ولكن الأستاذ شوقي ضيف لم يَبْنِ من كلامه هذا وملاحظاته الأخرى التي سردناها في التعليق على أدلة السامرائي أي حكم بشأن التشكيك في المدرسة الكوفية، بل كان مدافعا بإصرار عن هذه المدرسة التي ذكر إجماع العلماء حول اعتبارها ورد على من أنكرها من المستقرئين.

في حين أن السامرائي وظف تلك الأدلة المتعلقة بكون الخلافات في الفروع وليست في الأصول وبأن المادة النحوية الكوفية تكاد تكون مفتقدة لتكون الأساس النظري للمدرسة وانتقد المصطلحات النحوية الكوفية وختم بأن علماء الكوفة جلهم لغويين فأنىَّ تكون للكوفة مدرسة أو مذهب وهذه الشروط الأساسية غائبة ؟.

4- المسألة الرابعة التي أثارها السامرائي : عدد المدارس النحوية :

هذه المدرسة شغلت فكر اللغويين المعاصرين فاختلفوا فيها اختلافا شديدا، ومن بينهم الأستاذ إبراهيم السامرائي الذي ذهب إلى نوع يقرب إلى التطرف حيث يرى أنه لا يوجد إلا مذهب نحوي واحد هو مذهب البصرة (هو متحفظ على مصطلح مدرسة أصلا وينكر وجود مدرسة نحوية)، ولكن يعترف بوجود خلافات نحوية وآراء ذهب إليها الكوفيون لا تكفي لتكوين نظرة نحوية متكاملة مجسدة في مذهب نحوي في مقابل المذهب البصري.

[1]- شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص: (187-188).

[2]- المرجع نفسه، ص: (237-238).

قال: " ومن المفيد أن نعرض لمشاركة الكوفيين ولا سيما الأوائل منهم في العلم النحوي فنقول ليس لنا من نحوي الكسائي شيء كثير: بل نجد من ذلك شذرات في كتب النحو القديم، وهي في جملتها لا تؤلف شيئا، ولا يمكن أن تكون مادة يقوم عليها بناء نحوي، في أصوله وفروعه، فكيف نقول أنه بداية مدرسة نحوية ؟.[1]

ويقول أيضا: "على أن ما نسب للكسائي في النحو مما ذكر في الكتب النحو "كمجالس ثعلب" و"معاني القرآن" للفراء لا يمكن أن يكون مادة وافية تعين على معرفة نحو كثير يؤلف أسسا لمدرسة مزعومة".[2]

وإذا كان السامرائي يرفض وجود مذهب نحوي كوفي فمن باب أولى أنه ينكر وجود مدارس أو مذاهب أخرى كالمدرسة البغدادية أو المصرية أو الأندلسية.

يقول: "نظر أصحابنا إلى الموروث من علم النحو وأختلاف الأوائل في شيء يسير منه يمس الفروع ولا يقرب الأصول فأخذوا بالسعي نحو "المعاصرة" فأخذوا لفظ المدارس" لتؤدي لدى الأوائل من استعمال مذاهب" أو طرائق" وكان من ذلك مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة ومدرسة بغداد، وتوسع آخرون فكان لهم مدرسة في كل بلد من بلدان العالم الإسلامي، ومن ذلك مدرسة الشاميّين في النحو، ومدرسة المصريين، ومدارس إفريقية في تونس والمغرب ومدرسة الأندلسيين، ولا أستبعد أن يبلغ الهوى بأحد من قبيل هؤلاء الدارسين فيزعم "للموصلين" مدرسة في النحو، وأن للبلاد التي أظلها الإسلام مدارس في هذا العلم".[3]

– ناقشت الأستاذة خديجة الحديثي المنكرين لمدرسة الكوفة وهي تقصد المستشرق "جوتول فايل" محقق كتاب "الإنصاف في مسائل الخلاف" لأنه أول من طرح هذه الفكرة، ولأن السامرائي لم يؤلف كتابه بعد، فقالت قال بعضهم أنه لا توجد إلا مدرسة نحوية واحدة هي مدرسة البصرة وأنكر وجود مدرسة باسم مدرسة الكوفة، وقد سبق إلى القول بهذا "جوتول فايل" الذي كان يشكك في

[1] – المدارس النحوية، أسطورة وواقع، ص35.

[2] – المصدر نفسه، ص38.

[3] – المصدر السابق، ص140.

قيام مدرسة الكوفة ومن ثم لا يرى قيام مدرسة بغداد إذ أنها ليست إلا امتزاج المدرستين البصرية والكوفية حيث قال في مقدمته لكتاب "الإنصاف" أنهم لم يؤسسوا مدرسة نحوية خاصة واستدل بأن خلاف نحاتها ولاسيما الكسائي والفراء مع الخليل وسيبويه إنما هو امتداد لما سمعاه من أستاذهما البصري يونس بن حبيب، وبأن هناك خلافات كثيرة بين الكسائي والفراء وكلاهما كوفي.

وقد ردت الأستاذة الحديثي على دليل هذ المستشرق بأدلة كثيرة منها قولها بأن المسائل التسْع التي ذكرها ابن الأنباري والزمخشري متابعة الكوفيين ليونس فيها لا تعد شيئا إذا ما قيست بالآراء التي يتابع فيها الكوفيين البصريين لا سيما الخليل وسيبويه ... أما القول بوجود خلافات بين الكسائي والفراء فهذا لا يعد دليلا لفايل"على إنكار وجود مدرسة كوفية ،لأن نحاة البصرة التي أثبت وجودها اختلفوا فيما بينهم في كثير من المسائل، فهذا سيبويه وهو المتابع للخليل ... يخالف الخليل ويرد عليه ويضعف رأيه، مؤيدا يونس أو غيره من شيوخه الآخرين، وهذا يونس بن حبيب خالف الخليل في ما يقرب من مائتي مسألة لغوية ونحوية وصرفية وصوتية فرعية أو أصلية، وهذا سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط يستدرك على سيبويه مسائل ويرد عليه، مع أنه حامل كتابه وراويه وناشر عمله، وأخيرا هذا المبرد الذي عد خاتمة المدرسة البصرية مع كونه بصريا مدافعا عن سيبويه وكتابه، يؤلف كتابا في الاستدراك على سيبويه سماه "مسائل الغلط" ومع ذلك لم يقل أحد بأن الخليل وسيبويه ويونس والأخفش والمبرد لا يكونون مدرسة.

– وقد ذكرت الأستاذة أن ممن ذهب إلى هذا الرأي المنكر لمدرسة الكوفة الأستاذ علي أبو المكارم في كتابه "تقويم الفكر النحوي".[1]

ومن دفاع الأستاذة عن مدرسة الكوفة يتضح موقفها من مدرسة الكوفة، أما الأستاذ شوقي ضيف فعلى الرغم من انتقاده لمدرسة الكوفة عدة مرات في كتابه إلا أنه يذهب في الدفاع عنها شوطا بعيدا، فقد عقد مبحثا عنونه : "النحو الكوفي مدرسة مستقلة" قال: "أجمع القدماء أن نحو الكوفيين يشكل مذهبا مستقلا أو كما نقول بلغة العصر مدرسة مستقلة، سواء منهم أصحاب

[1]– خديجة الحديثي، ينظر المدارس النحوية، ص: (14-15).

كتب الطبقات والتراجم من ابن النديم في كتابه "الفهرست" والزبيدي في كتابه "طبقات النحويين واللغويين" أو أصحاب كتب المباحث النحوية، إذ نراهم دائما يعرضون في المسائل المختلفة وجهتي النظر المتقابلتين، الكوفية والبصرية، وقد أفرد أبو البركات بن الأنباري مجلدا ضخما عرض الخلاف بين المدرستين في إحدى وعشرين ومائة مسألة، ورد هو أيضا على المستشرق فايل وأدلته.[1]

– وهناك مجموعة من المستشرقين واللغويين أنكروا وجود مدرسة "بغداد" واكتفوا بالمدرستين البصرية والكوفية منهم كارل بروكلمان الذي فهم من كلامه أن مدرسة بغداد النحوية ليس لها كيان مستقل مثل البصرة والكوفة، فكان يقول: "من مؤيدي المذهبين من علماء بغداد"، ويقول: "حقا بقي كثير من العلماء اجتذبتهم عاصمة الخلافة إليها شديدي التمسك والتعصب لمأثورات مدارسهم الأصلية، ولكن الجيل الذي تلا هؤلاء والذي تهيأت له فرص الاستماع إلى ممثلي كلى المذهبين لم يلق كبير اهتمام للخلافات القديمة، بل عمد إلى انتخاب مزايا كلا المدرستين وتوحيد هذه المزايا في مذهب جديد مختار".[2]

– ومن هؤلاء أيضا عبد الفتاح أحمد شلبي الذي يقول : "فلم تكن هناك–فيما أدري– مدرسة بغدادية قائمة بنفسها لها تعاليمها غاية ما في الأمر أن رجالا خلطوا بين المدرستين البصرية والكوفية، فرأوا رأيا من هذه ورأيا من الأخرى وإن كانوا في مذهبهم الأصيل يميلون إلى هذه أو يميلون إلى تلك".[3]

– ومن الذين أنكروا مدرسة بغداد الأستاذ مهدي المخزومي الذي كان مترددا في قبولها فقال تردد اسم البغداديين كثيرا أثناء القرن الرابع بإيزاء البصريين والكوفيين، حتى ليخيل للدارس أن البغداديين كانوا يمثلون جماعة ثالثة لهم طريقتهم الخاصة ومذهبهم المتميز، وجاء المتأخرون من النحاة فرأوا اسم البغداديين يذكر إلى جانب الكوفيين والبصريين فذهب بهم الوهم بعيدا وراحوا يركبون

[1]– ينظر ،شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص155.

[2]– عبد الأمير محمد أمين الورد، المدارس النحوية بين التصور والتصديق والسؤال الكبير، المكتبة العصرية، بغداد، ط1، 1997م، ص10.

[3]– المرجع السابق، ص13.

الصعب في تصوير مذهب ثالث يقف بإزاء مذهب أهل البصرة ومذهب أهل الكوفة وهو مذهب البغداديين".[1]

في كتابه "مدرسة الكوفة" أعترف بالمدرسة البغدادية فقال: " وأما أصحاب ثعلب الذين ذيلنا اسمه بأسمائهم، فليسوا جميعا كوفيين بل أكثرهم ينتمون إلى مدرسة جديدة هي "مدرسة بغداد" وهي المدرسة الانتخابية التي قامت على خلط المنهجين من المدرستين البصرية والكوفية، لأنهم أخذوا عن بصريين وكوفين و تأثروا بهؤلاء وهؤلاء".[2]

ويعارض هذا الرأي رأي آخر قال به جماعة من الباحثين يثبت وجود ثلاث مدارس نحوية يذكرهم الأستاذ عبد الأمير محمد أمين الورد بالتفصيل، وهم أحمد أمين في كتابه "ظهر الإسلام" والشيخ محمد طنطاوي في كتابه "تاريخ النحو وأشهر النحاة"، وأحمد عبد الستار الجواري في كتابه "الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثاني عشر"، وسعيد الأنغاني في كتابه في "أصول النحو" وأحمد مكي الأنصاري في كتابه: "أبو زكرياء الفراء ومذهبه في النحو واللغة"، ومازن مبارك في تحقيقه كتاب "الإيضاح في علل النحو" للزجاجي ومحي الدين توفيق في كتابه "المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي"، فكل هؤلاء يثبتون المدرسة النحوية البغدادية إلى جوار مدرستي البصرة والكوفة.[3]

– أما الأستاذ شوقي ضيف فقد بلغ بتعداد المدارس النحوية إلى خمس وهي البصرية والكوفية والبغدادية والأندلسية والمصرية.[4]

– أما الأستاذ التواتي بن التواتي فقد تكلم عن كل هذه المدارس الخمس وقدم بشأنها خلاصات في كتابه، ولكن في الوقت ذاته فهو لا يعترف إلا بمدرسة واحدة توفرت على الشروط الأكاديمية وهي مدرسة البصرة، أما مدرسة الكوفة فهو مشكك فيها فأحيانا يطلق عليها مذهب وأحيانا ينزل بها إلى مجرد فرع للمدرسة البصرية، أما المدرسة البغدادية والأندلسية فهما مجرد تجليين

[1] – مهدي المخزومي، الدرس النحوي في بغداد، ص151، عن المدارس النحوية، خديجة الحديثي، ص16.

[2] – مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص87.

[3] – ينظر المدارس النحوية بين التصور والتطبيق والسؤال الكبير، ص: (13–14).

[4] – ينظر كتاب المدارس النحوية.

للمدرسة البصرية يقول : " وإذا كان هناك خلاف بين المنهجين (البصرة والكوفة) فإن المنهج الذي ساد وبقي صامدا على مر الزمان وتناقلته الأجيال هو المنهج البصري الذي نشأ بالبصرة وأعلامه بصريون، وإذا قلنا إن هذا التقسيم إلى مدارس يحلو للبعض، فإن المسألة ها هنا فيها نظر، لأن مصطلح مدرسة بمفهومها الأكاديمي (يقصد تعريف أحمد مختار عمر للمدرسة الذي نقلناه سابقا). لا يستوفي شروطه ولا ينطبق إلا على مدرسة البصرة لأن لها رائدا هو سيبويه ولها نظرية وهي "الكتاب" ولها أتباع وقد سبق أن أثبتنا هذه الشجرة منذ ظهورها إلى أن وصلتنا ثمارها ناضجة".[1]

وبالنسبة للمدرسة البغدادية فهي بالنسبة إليه مجرد حلقة جديدة تكونت في القرن الرابع للهجرة ببغداد حيث مزجت النزعة البصرية والكوفية فتداخلت وتشابكت على يد الذين درسوا على المبرد وثعلب.[2]

وبالنسبة لمدرسة الأندلس فيرى أن الدارس الحصيف لا يسعه إلا أن يقر بأن مدرسة الأندلس بقيت بصرية في فكرها النحوي، وإن ظهر نحاة مبدعون زادوا إلى البناء لبنات كابن الطروة وغيره.[3]

- من خلال هذا العرض المفصل لعدد المدارس النحوية نستنتج أن الأساتذة إبراهيم السامرائي لا يؤمن إلا بمذهب نحوي واحد هو المذهب البصري ولا يكاد يجد من يشاركه الرأي إلا المستشرق "فايل" والأستاذ علي أبو المكارم وكلاهما صرح برأيه هذا قبل ظهور مؤلف الأستاذ السامرائي، أما بقية اللغويين المعاصرين فمعظمهم يثبت المدرسة الكوفية على الرغم من انتقادهم لبعض أسسها واختلفوا في إثبات بقية المدارس ما بين مقتصر على المدرسة البغدادية ومتوسع إلى غير بغداد من الأقاليم.

كما نستنتج أن الأستاذ لم يكن مقلدا لآراء معاصريه لأنه من آخر من كتب في "المدارس النحوية" وأنه بنى نقده على ملاحظات وأدلة يراها موضوعية وعلمية.

---

[1]- ينظر، التواتي بن التواتي، المدارس النحوية، ص101.

[2]- ينظر المرجع نفسه، ص104.

[3]- ينظر المرجع نفسه، ص: (124-124).

الخاتمة

خاتمة :

بعد أن من الله علي بإنهاء البحث ارتسمت في نفسي بعض النتائج أسجلها في العناصر التالية :

01- الدكتور إبراهيم السامرائي أحد حراس اللّغة العربية وعلمائها الكبار تعددت جهوده العلمية وشملت علوما شتى من النحو إلى أصوله، إلى المعجم إلى النحو المقارن إلى الأدب ولا تزال كثيرٌ من أعماله تحتاج إلى دراسات تجلي قيمتها العلمية.

02- لم يكن خوف شيوع اللحن وفساد العربية هو السبب الأوحد في وضع النحو ، بل كان الأمر مرتبطا بعوامل متشابكة دينية وقومية و اجتماعية تفاعلت من أجل إبراز معالم الثقافة العربية عموما وليس النحو فقط .

03- نشأ النحو العربي بصريا على يد أبي الأسود الدؤلي وتلاميذه قراء البصرة واستوى على سوقه على يد عبيد الله بن أبي إسحاق وأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر ونضج على يد الخليل بن أحمد ويونس بن حبيب وسيبويه .

04- انطلق الكوفيون في نحوهم من النحو البصري متتلمذين على رواده ومصنفاتهم ثم اختطوا لأنفسهم خطا حاولوا فيه الاستقلال عن البصريين بفضل رواد هم الكسائي والفراء وثعلب وتلاميذه.

05- يرى الدكتور السامرائي أن الخلافات النحوية البصرية الكوفية خلافات فرعية لم تتناول الأصول .ووافقه في هذا الرأي مجموعة من اللغويين .

06- يرى الدكتور السامرائي أن المصطلح النحوي البصري لم يكن شاملا ولا مستوعبا لكل أبواب النحو ولم يفِ بحاجة النحوي المتخصص وأنه متصف بسلبيات أهمها عدم اتفاق الكوفيين بشأنه وعدم برائته من التعدد و الاشتراك المصطلحين .

07- يرى بعض الباحثين أن الباعث على ظهور المصطلح النحوي الكوفي هو رغبة الاستقلال والمخالفة للمذهب البصري

08- يرى الدكتور السامرائي أن التراث النحوي الكوفي لم يكن كافيا ليكون أساسا نظريا لقيام مذهب نحوي مستقل إذ لم يصلنا منه إلا القليل

09- يرى الدكتور أن العلماء المحسوبين على المدرسة الكوفية ليسوا في الغالب مشهورين بالنحو وأن معظمهم أهل اللغة ورواة أشعار وغريب .

وقد وافقه الدكتور شوقي ضيف في ذلك .

10- اتخذ الدكتور السامرائي من الملاحظات المسجلة في النقاط 9.8.6.5 في هذه الخاتمة مقدمات ليصل إلى حكم مفاده إنكار وجود مذهب نحوي كوفي .

11- على الرغم من اتفاق بعض المعاصرين مع الأستاذ السامرائي إلا أن معظمهم لا يوافقه في حكمه الذي توصل إليه .

12- تميز الدكتور السامرائي بالاستقلال الفكري والجرأة في إظهار آرائه وانتهج في سبيل إثباتها أدلة عملية وموضوعية سواء أوافقه الصواب أم لم يوافقه .

والله الموفق

قائمة المراجع

قائمة المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم على رواية حفص عن عاصم
- **أولا :المصادر**

- إبراهيم السامرائي ،المدارس النحوية أسطورة و واقع، دار الفكر للنشر والتوزيع، الأردن عمان ط1 ،1987.

ثانيا : المراجع

- إبراهيم السامرائي –حديث السنين سيرة ذاتية ، دار البيارق ، لبنان بيروت ، دار عمار ، الأردن عمان ، ط 01 ، 1418هـ،1998م.
- أحمد الهاشمي ، القواعد الأساسية للقواعد العربية ، بيروت لبنان ، دار الكتب ، د ط ،د ت.
- أحمد مختار عمر ،البحث اللغوي عند العرب مع دراسة قضية التأثير والتأثر، عالم الكتب ،القاهرة ،ط6 ،1988م.
- أحمد مختار عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة،ط1 ،عالم الكتب ،1429هـ ،2008م،ج1 .
- تمام حسان، الاصول دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو، فقه اللغة، البلاغة، عالم الكتب، القاهرة، 1420هـ، 2000م،.
- التواتي بن التواتي ،المدارس النحوية، ، دار الوعي للنشر والتوزيع، 2008م.
- جلال الدين السيوطي، الاقتراح في أصول النحو ، تح: عبد الحكيم عطية، دار البيروتي،ط2 ،1427هـ،2006م.
- خديجة الحديثي، المدارس النحوية، دار الأمل، أربد–الاردن، ط3، 1422هـ، 2001 م.
- ابن السراج، الأصول في النحو ،تح عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،ط3 ،1417هـ،1996م ،ج1
- سعيد الأفغاني ، من تاريخ النحو ، دار ا لفكر ، د ط ، د ت .

قائمة المراجع:

- شوقي ضيف ، المدارس النحوية ، دار المعارف ، مصر القاهرة ، ط1.
- صالح بلعيد ،في أصول النحو ،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ،2005 .
- أبو علي الفارسي ،تحقيق حسن شاذلي فرهود ، التكملة في شرح الإيضاح ،جامعة الرياض ،ط1 ،1401هـ،1990م.
- عبد الأمير مُحَمَّد أمين الورد، المدارس النحوية بين التصور والتصديق والسؤال الكبير، المكتبة العصرية، بغداد، ط1، 1997.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة، الشروق الدولية، ط4، هـ1425، 2004م.
- مهدي المخزومي ،مدرسة الكوفة ومنهاجها في الدراسة اللغة والنحو ،مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ،ط2 .

الرسائل العلمية :

- جمال مُحَمَّد سعيد حمد، اختلاف المدارس النحوية وأثره في تقعيد النحو، مخطوط رسالة دكتوراه قدمت إلى كلية التربية، قسم اللغة العربية بجامعة الخرطوم، 1422هـ/2006م.

المواقع الإلكترونية:

- أحمد بن مُحَمَّد الداهن ، إبراهيم السامرائي علّامة العربية والعالم الحجة
- www.Alukah.net
- احمد مجرشي ، المدارس النحوية النشأة والخلاف، **مقال** :
- www.forsanhaq.com/showthread.php? t :226654
- عبد المجيد عبد الحميد ،ابراهيم السامرائي من دجلة إلى السّين
- www.alittihad.ae/articlele40114/201
- فوزي فهيم حسن، المدارس النحوية العربية القديمة
- www.diwanalarab.com/spip.php?articl 26054

الفهرس

فهرس المحتويات:

العنوان	الصفحة
شكر وعرفان	
إهداء	
مقدمة	أ–ب
مدخل :	
أولا نبذة تعريفية عن الأستاذ إبراهيم السامرائي والكتاب	08
مولده و نشأته و تعلمه	08
الدراسة في السوربون:	08
أعماله:	09
أساتذته:	09
تلامذته:	10
حبه للعلم	11
مشاركاته في المجامع اللغوية	11
صفاته و أخلاقه	12
التعريف بمؤلفاته	12
ثانيا :وصف الكتاب	16
ثالثا: مصطلحات ومفاهيم:	17
مفهوم المدرسة	17
مفهوم أصول النحو	18
الفصل الأول : تلخيص أفكار الأستاذ إبراهيم السامرائي الواردة في الكتاب	
المقدمة	22
الفصل الأول: المدرسة البصرية أصولها لدى الأوائل:	25
مصادر الدراسة عند البصريين	25
ملاحظات الأستاذ السامرائي حول هذه الأصول	26

فهرس المحتويات:

الفصل الثاني :المدرسة الكوفية أصولها وبدايتها وأصحابها	27
الفصل الثالث استقراء مسائل الخلاف	32
الفصل الرابع: المصطلح النحوي	36
الخاتمة: ألنا مدارس نحوية	45
ما بعد الخاتمة	46
الفصل الثاني : دراسة لأهم آراء إبراهيم السامرائي في كتابه ومقارنتها بآراء بعض اللغويين المعاصرين	
تمهيد	48
المسألة الأولى : مصطلح "مدرسة" ومدى مصداقيته ودقته	48
رأي الأستاذة : خديجة الحديثي في مصطلح "مدرسة" :	49
المسألة الثانية : للأستاذ السامرائي : دواعي وأسباب وضع النحو	54
المسألة الثالثة للأستاذ إبراهيم السامرائي :	59
المسألة الرابعة التي أثارها السامرائي : عدد المدارس النحوية	66
الخاتمة	73
قائمة المراجع	77
الفهرس	

ملخص

ملخص المذكرة:

يتناول هذا البحث بالدراسة آراء الدكتور إبراهيم السّامرائي من خلال كتابة المدارية النحوية أسطورة وواقع ، حيث حاول إنكار وجود المدرسة النحوية الكوفية وقدم مجموعة من الأدلة العلمية لإثبات رأيه مخالفا بذلك آراء أغلب اللغويين العرب المحاضرين الذين كتبوا في المدارس النحوية ، وقد تميزت دراسة بالجدية والعمق والإستقلال الفكري

الكلمات الفكرية:– مدارس النحوية – الخلافات النحوية – المصطلح النحوي

Résume de l'étude :
Cette recherche étudie les avis du Dr Ibrahim Essamarray à travers son livre " les écoles grammaticale : légende et réalité " où il a essayé de nier l'existence d'une école grammaticale koufie , en présentant un ensemble de preuves scientifique pour démontrer son avis contrevenant à ceux de la majorité des linguistes arabes contemporains qui ont écrit sur les écoles grammaticale . son étude s'est distinguée par le sérieux , la profondeur et la liberté de pensée . les mots de pensée : école grammaticale , différends grammaticaux , terminologie grammaticale .